

حقيقة غيّرت التاريخ.. وغيّرتني..
فمتى ستغيرك؟

خاتم سليمان

لمحة عن المؤلف:

عمرو عبد الحميد ، مهندس كهرباء من مواليد الإسكندرية (1984). بدأ تجربته مع القرآن الكريم قبل 11 عامًا من كتابة هذا العمل، حيث آمن بأن **"أعظم قوة تغييرية في الكون هي كلمات الخالق"**، وكيف أن تحول الأفراد يمثل اللبنة الأساسية لأي نهضة مجتمعية.

هذا الكتاب هو ثمرة رحلة شخصية في البحث عن المعنى والهداية. هو، كغيره من البشر، واجه تحديات وسعى لفهم حكمة الله في كل ما يحيط بنا. من خلال التدبر العميق في آيات القرآن الكريم، تفتحت له آفاق جديدة ورؤى قيمة، دفعته لمشاركة هذه الأفكار مع الآخرين، آملاً أن تكون لهم عوناً وسلواناً في طريقهم.

*****

ملاحظة هامة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما كان في هذا الكتاب من صوابٍ وحقٍ، فهو من توفيق اللّٰه وفضله، وله الحمد أولًا وآخرًا.

وما كان فيه من خطأ أو نسيان أو زلل، فهو من تقصيري أو تلبيس الشيطان ، وأستغفر اللّٰه منه وأعوذ بالله منه.

ومن رأى صوابًا فليحمد اللّٰه على توفيقه، ومن وجد خطأً فليُرشدني إليه لتصويبه، فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله.

واللّٰهَ أسألُ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده المؤمنين.

*****

مقدمة

هل سبق أن شعرت بأن هناك شيئًا عظيمًا مختبئًا بين طيات حياتك، ينتظر فقط أن تكتشفه لتتغير أيامك إلى الأبد؟ هل تخيلت يومًا أن أعظم الكنوز لا يُرى بالعين، بل يُدرك بالقلب والعقل، وأنك قد تملكه بالفعل دون أن تعرف؟

أنا لا أتحدث عن وهمٍ أو خيال، أو مجرد فكرة فلسفية، بل عن حقيقةٍ مطلقة لا شك فيها. حقيقةٌ لو أدركتها، لتغيرت حياتك للأبد. إنك تمتلك ما هو أعظم من خاتم سليمان، لكنه بين يديك وأنت لا تدرك قيمته. أقول "خاتم سليمان" على سبيل التشبيه، لكنه في الواقع أقوى من ألف خاتم سليمان، بل هو مفتاح القوة والطمأنينة والسعادة التي يبحث عنها الجميع.

لكن، كيف غفلنا عن هذا الكنز العظيم؟ كيف ضاع مننا ونحن لا تشعر؟

الحقيقة أننا ضحية لمؤامرةٍ مُحكمة، وُضعت خططها منذ مئات السنين. مؤامرةٌ كان هدفها الأول والأخير أن ننشغل عن هذا الخاتم، أن نبتعد عنه، أن ننساه تمامًا. ونجحت المؤامرة

نجاحًا مذهلًا... حتى أصبحنا لا نُطيق حتى سماع الحديث عنه! بدلًا من أن نستفيد من قوته، ونرتقي به، ونكابد الأهوال ونحن محصَّنين به، أصبحنا أسرى ضعفاء، مسلوبين الإرادة، بعدما تخلينا عنه بإرادتنا وألقيناه بعيدًا.

ولكن، لم يفت الأوان بعد...

ذلك "الخاتم" ليس إلا كلام اللّٰه، الذي ليس كمثله شيء. هو القرآن الكريم، المعجزة الخالدة، النور الذي لا ينطفئ، والقوة التي لا تُقهَر.

وفي هذا الكتاب، سنكتشف سوياً كيف نستعيد كنزنا المفقود، وكيف نعيد اكتشاف أعظم قوة وأغلى هدية وهبها اللّٰه للبشر... قوة القرآن الكريم.

*****

كَلَامُ اللّٰهَ

التجربة المادية أم كلام اللّٰه؟

أيهما أقوى تأثيرًا عليك؟

أن تعيش تجربة ما بنفسك، أم أن يكلمك اللّٰه فقط عن هذه التجربة؟

في الحالة الأولى، تدرك التجربة بحواسك المادية: ترى، تسمع، وتلمس.

أما في الحالة الثانية، تدرك التجربة من خلال كلام اللّٰه لك. فهل كلام اللّٰه أقوى في تأثيره عليك وعلى إدراكك، أم حواسك المادية؟

كلام اللّٰه: صفة لا تُقارن

كلام اللّٰه هو صفة من صفاته، وكما أن اللّٰه ليس كمثله شيء، فإن كلامه أيضًا ليس كمثله شيء. تأمل معي:

ملايين الملايين من البشر بكل علومهم، وملايين الملايين من الجن بكل قدراتهم، يجتمعون في مكان واحد، ويعيشون حياتهم كلها بغرض واحد فقط: أن يأتوا بكلام ينفعك مثل القرآن الكريم. هل تعلم أنهم لن يستطيعوا ذلك أبدًا؟

الله تعالى يقول:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

الشيطان وحربه مع القرآن

لقد تعهد الله بحفظ كتابه من التحريف، فلم يجد الشيطان سبيلاً لإضلال الناس إلا بأن يحاول إبعادهم عنه. وللأسف نجح في ذلك! لقد نجح في جعلنا ننسى القرآن، سلاحنا الفتاك ضده، والبساط الآمن الذي سيحملنا إلى الجنة، وخاتم سليمان الذى سيحقق لنا الحياة الطيبة اللتى وعدنا الله بها فى الدنيا.

الله تعالى يقول:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

خاتم سليمان: القوة المنسية

تخيل معي أن "خاتم سليمان" شيء حقيقي، وأن والدك أعطاه لك. هذا الخاتم لا يمكن سرقته أو تدميره. هل يمكن لأي شيء في الوجود أن يؤذيك وأنت تملكه؟ تخيل أن عدوًا يريد إيذاءك، كيف سيتصرف؟ المصيبة بالنسبة له أن الخاتم يحميك، ولا يستطيع سرقته أو تدميره. فماذا سيفعل؟

لقد وجد الحل: جعلك تنسى أنك تملك الخاتم! بل جعلك تنسى إمكانياته أيضًا. أصبحت تتحدث عنه كمعجزة من السماء، مصنوع من معدن نادر، ودقة صنعه تعجز عنها الإنس والجن. لكنك نسيت كيف يمكن أن يغير حياتك. بدلًا من أن تلبسه

وتستخدمه، أصبح مجرد ميدالية معلقة في سلسلة مفاتيحك.

الله تعالى يقول:

﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان ٢٩]

لقد نجح الشيطان في جعلك تساوي بين اثنين: كلام الناس لك عن شيئ، وكلام الله لك عن نفس الشيئ في قرآنه. والفارق بينهما عظيم !!

فأنت عندما تقف بين يدي الله، طالبًا الهدى والرحمة، ثم تقرأ كلامه، فإن الله هو سبحانه الذى يكلمك عن الجنة. كلام الله، الذي هو صفته (والتى ليس كمثلها شيئ)، سيخلق به في قلبك وعقلك يقينًا بالجنة، يقينًا لن تحققه حتى لو عشت في الجنة نفسها ثم عدت إلى الدنيا. كلام الله أقوى تأثيراً على إدراكك من تأثير حواسك المادية.

الله تعالى يقول:

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٩]

ويقول أيضاً:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر ٢١].

تغيير الإدراك

هل تدرك معنى أن يأخذك الله إلى الجنة بكلامه، تقضي فيها وقتًا، ثم تعود إلى الدنيا؟ هل تدرك كيف ستتغير نظرتك لكل شيء في حياتك؟

تخيل أنك ذهبت في مغامرة إلى جهنم، ثم عدت. هل ستعود منها نفس الشخص؟ تخيل أنك وقفت أمام اللوح المحفوظ، ورأيت رحمة الله بك، وكرمه ورعايته. هل سترى الأمور كما كنت تراها؟

هل تدرك كم ستتخلص من الهموم والأحزان عندما يجعلك كلام الله ترى الشيطان كأنه أمامك، وتميز صوت وسوسته؟

هل تدرك كم سيزيد يقينك بقدرة الله عندما تقف مع بني إسرائيل أمام البحر، وتراه ينشق أمامك، ثم تمشي في أرض جافة بين جبال من الماء؟

هل تدرك كيف ستتغير نظرتك لكل عقبة مادية في حياتك عندما تقف مع إبراهيم في النار، ثم تجد نفسك في مكان بارد ومريح، مليء بالطعام الطيب؟

ماذا لو عشت أهوال القيامة، ثم عدت إلى الدنيا؟ هل ستظل مشاكل الحياة تحرق قلبك؟ هل ستظل أحلامك المعطلة تنهش فيك كما كانت؟

الله تعالى يقول:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢].

*****

العَسَلُ

ماذا سيحدث بعد أن تذوق عسل الجنة؟

بعد أن تذوقه، لن تجد لعسل الدنيا طعمًا أبدًا، حتى لو حاولت.

عندما تتلو القرآن بتدبر، يخلق الله في قلبك إيمانًا حقيقيًا بأن الجنة، التي عرضها السماوات والأرض، تنتظرك. لن تعود الجنة مجرد فكرة أو وعد يتحدث عنه الناس، بل ستتحول إلى حقيقة ملموسة تتحرك وتتصرف بناء عليها دون تفكير.

الفرق بين كلام الناس وكلام الله

عندما يتحدث إليك صديقك عن الجنة، فهو يتخيل معك طعم العسل فيها. ولكن عندما يكلمك الله عن الجنة، فإنك ستذوق العسل حقًا، وتأكل منه حتى تشبع.

ما الفرق؟

مع صديقك، يظل طعم عسل الدنيا حلوًا ويخطف القلب.

أما بعد أن يكلمك الله عن الجنة، فإنك -رغمًا عنك- لن تعود ترى لعسل الدنيا طعمًا.

الدنيا بعد أن تتذوق الجنة

هل أنت مدرك كونك يوماً بعد يوم ينبت فى قلبك يقين حقيقى بجنة عرضها السماوات والارض هى فى إنتظارك. ملك حقيقى لك.

هذا يعني أن من يكلمه الله عن الجنة، يرى الدنيا بشكل مختلف تمامًا.

رغمًا عنه، لم تعد الدنيا تثير فيه شيئًا.

توجهت كل رغباته نحو الجنة دون أن يشعر.

رغمًا عنه، لم يعد يحسد الأغنياء، لأنه لم يعد يراهم أغنياء.

ولم يعد يحزن لفقرِه، لأنه لم يعد يشعر بأنه فقير.

فجأة، وجد نفسه غنيًا عن كل ما في الدنيا.

بدون أن يرى الجنة، أصبح يؤمن بها كما يؤمن بوجوده نفسه.

وانعكس هذا الإيمان على نظرته لكل زينة الدنيا.

لم يعد يرى بريقها، فقد انطفأ ذلك البريق في عينيه دون قصد. لأنه رأى بريقًا يلمع أكثر منه آلاف المرات، فخطف بصره.

مقاومة إغراءات الدنيا

تخيل أن ترى الحور العين...

تلقائيًا، ستكون قادرًا على مقاومة إغراءات نساء الدنيا.

تخيل أن تسكن قصور الجنة...

تلقائيًا، لن تعود ترى قصور الدنيا.

تخيل أن تعلم أن هذا الملك العظيم ينتظرك...

رغمًا عنك، ستشعر بغنى حقيقي في قلبك.

وحتى لو حاولت التخلص من هذا الشعور، فلن تستطيع.

حتى لو لم يكن لديك رغيف خبز واحد، فلن تستطيع أن تشعر بالفقر.

لقد أصبحت الجنة قريبة منك، وكأنها لا تفصلك عنها سوى دقيقة واحدة مشى.

الله تعالى يقول:

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد ١٥]

الشفاء الحقيقي

ماذا لو أن شخصًا انكسرت ساقه، وهو يصرخ من الألم، يحتاج إلى من ينقله إلى المستشفى. ثم يأتي أحدهم ويقول له بهدوء: "تخيل أنك في المستشفى، وتخيل أن ساقك قد شفيت." أقل رد فعل يمكن أن يفعله هذا المصاب هو أن يتمنى أن ينكسر ساق المتحدث أيضًا!

هذا المريض يحتاج إلى شفاء حقيقي، لا إلى تخيلات.

وكذلك نحن في حياتنا، لا ينفع أن يقول لنا أحد: "تخيل الجنة لتتحمل بلاءك."

فكما أن المريض لا يشفى بالتخيل، فإننا لا نصبر على بلاء الدنيا بمجرد التخيل.

كلام الله عن الجنة هو مثل ذهاب المريض إلى المستشفى وشفائه شفاءً حقيقيًا. أما كلام الناس عن الجنة، فهو مثل ذلك الشخص الذي قال للمريض: "تخيل أنك شُفيت."

قراءة القرآن بتدبر، وأنت تطلب من الله الهداية والرحمة، هي الكنز الذي لا مثيل له في الوجود. لو وُجد جهازٌ يقيس الإحساس الحقيقي بالثروة والغنى، وكُشف به عن قلبِ مؤمنٍ يتلو القرآن ويتدبره، وعن صدر أغنى ملوك الأرض، لوجدت الغنى في قلب المؤمن، ولوجدت في صدر الآخر فقرًا لا يملؤه شيء. يهبك خاتم سليمان ثروة هائلة وغنى لا يُفسد القلب أو يدفعك إلى الطغيان فتخسر آخرتك، بل هو غنى يرفعك إلى مرتبة الصفاء والنقاء، فلا يحمل قلبك حقدًا أو حسدًا أو غلًّا لأحد. إنها ثروة

تيسّر لك الطريق، وتطوي لك الأيام، حتى تبلغ وجهتك بسلام، محمولًا على بساطٍ من الراحة والسكينة والأمان.

الله تعالى يقول:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
[ص ٢٩]

*****

الخَوْفُ

متى يخاف الإنسان من التهديد والوعيد؟ عندما يصدق أن التهديد سيقع حتمًا لامحالة وأنه لا مفر منه. تخيل أن الحاكم يهددك بالحبس والتعذيب إذا لم تنفذ أمرًا ما. إنك وبلا شك، ستقوم بتنفيذ أوامره على أكمل وجه.

هروب

أرى الناس يموتون كل يوم، ومع ذلك لا أصدق أنني سأموت. وهذا لأن الأمور الصعبة مثل الموت أو عذاب الآخرة، مجرد التفكير فيها يفسد علينا حياتنا، لذا نهرب منها بكل طاقتنا. من الموت نهرب بتجاهله وبعدم ذكره أو التفكير فيه، حتى أننا نتجنب من يتحدث عنه ونتهمه بالتشاؤم. أما من عذاب الآخرة، نهرب بأن نقنع أنفسنا أن اللّه لن يعذبنا أبدًا وهذا إما لأننا طيبو القلب، أو لأننا لن نتحمل هذا العذاب الشنيع، أو لأننا ولدنا مسلمين فلن نتعذب، أو لأننا نشعر في قرارة أنفسنا أن اللّه

يحبنا ولن يعذبنا، أو لأن الله غفور رحيم وسيشفع لنا النبي عنده. المهم عندنا أن نهرب من فكرة وجود عذاب أبدي سرمدى يتربص بنا.

قوة تغير القلب

وهنا تتجلى رحمة الله بنا في قرآنه، بكلامه عن عذاب الآخرة. كلام الله عن عذاب الآخرة ليس كمثله شيء، فكلام الله هو صفة الله، وكما أن الله ليس كمثله شيء، كلامه أيضًا ليس كمثله شيء. الله تعالى يقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه ١١٣] .

الله سبحانه الذي يكلمك عن عذابه لمن يعصيه. هل تدرك الفرق بين أن أكلمك أنا عن عذاب الآخرة، أو يكلمك الله؟ سيخلق الله فيك بكلامه النتيجة النهائية المطلوبة بصورة إعجازية لا تخضع للمنطق أو العلم الذي نعرفه. ستخاف أن

تعصي الله، وستكره ما يكرهه الله، تمامًا كما لو أنك ذهبت إلى الجحيم وعشت تصرخ فيها. الله تعالى يقول:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر ٣٧] .

وبعد أن ظننت أنك لن تخرج منها أبدًا جاءك العفو، وجاءتك فرصة ثانية لتعود إلى الدنيا وتعمل صالحًا. وهى فرصة لم يأخذها أحداً غيرك، ولن تتكرر ثانيةً أبداً. أصبحت الآن تخاف بحق ألا يرضى عنك الله. أصبحت أوامره أحب شيء لك في الحياة، وذلك لأن أوامره هى فقط التى ستنقذك من هذا الجحيم. تحول قلبك رغمًا عنك، وبلا سلطة منك، إلى الخوف من غضب الله، وكره مالايحبه الله. كلام الله سينقذك وسيجعلك من اللذين يخافون. الله تعالى يقول:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور ٣٧] .

إن الخوف من عذاب الآخرة هو قوة هائلة تمنع المؤمن من معصية اللّٰه. كيف كنت سأخاف خوفاً حقيقياً من شيئ لم أره بعيني، ولم أسمع عنه سوى حكايات؟

تغير حجم المشاكل

وشيء آخر سيتغير فيك دون أن تدرك متى أو كيف حدث هذا: ستجد كل مشاكلك قد تغير حجمها تمامًا. بعد أن كانت جبالًا عظيمة راكزة على قلبك، أصبحت حصوات صغيرة ملقاة على الأرض أمامك. وذلك بعد المغامرة الحقيقية التى قمت بها فى الجحيم. فأي ألم كألم الجحيم؟ وأي خسارة كالخلود في النار؟ وأي ندم كندم المحكوم عليه بها؟

تخيل معي طفلًا صغيرًا لم يرَ في حياته سوى غرفته الصغيرة. هل يمكنه أن يدرك حجمها الحقيقي إلا بعد أن يرى حجم الشقة، ثم الشارع، ثم الحي، ثم الأرض كلها، ثم ملك السماوات والأرض؟

ستظل تظن أن مشاكلك كبيرة وعظيمة، حتى تدرك ما هو الجحيم، حتى تعايشه وتكابده ويتم الحكم عليك به. حينها ستختفي تلك المنغصات التي كنت تظنها مصائب. ستكون أنت وجارك في نفس المشكلة، وأنت لا تراها أصلًا، وهو قد ينتحر أو يقتل أحداً بسببها. وهذا ليس لأنك لا تشعر، بل لأنك أصبحت تعلم ما لا يعلمه، وهو علم لن يعلمه لك إلا كلام اللّٰه. علم لا تسمعه، ولكن كلام اللّٰه يجعلك تعيشه بكل جوارحك، ويحفره في فؤادك وعقلك.

ستفاجأ أن الناس حولك تصرخ من غلاء الأسعار، وأنك لم تعد تصرخ معهم، أو حتى يعنيك الأمر من الأساس. هموم المستقبل التي كانت تؤرقك، لو فتشت عنها الآن لن تجدها، فقد أخذت حجمها الحقيقي بعد أن رأيت ما هو الألم الحقيقي.

لن يتحكم فيك أحد بمحاولة إيلامك أو الضغط عليك، فأنت الآن أقوى بمئات المرات بعد أن عشت هذه المغامرة الخارقة. أنت كأسير تم أسره وتعذيبه سنين، ثم عاد ليجد الناس تصرخ

من المشاكل المرورية. هل ستصرخ معهم، أم ستراهم مجموعة أطفال يلعبون؟ لن تزيد قدرتك على تحمل الألم، ولكن مصدر الألم نفسه سيأخذ حجمه الحقيقي فى حياتك.

الشجاعة والصفاء

لقد أخفى لك خاتم سليمان كل مشاكلك، تلخصت كلها في مشكلة حقيقية واحدة: ألا أعود إلى ذلك الجحيم ثانية. الخوف من عذاب الآخرة هو قوة هائلة يعين اللّٰه بها المؤمن على طاعته. جعلك الخاتم أقوى على تحمل إبتلاءات الدنيا بعد أن أدركت ماهو الحجم الحقيقى لهذه الإبتلاءات. أصبحت بإرتدائك الخاتم إنسان واعى وناضج وأشد قوة وأكثر صبراً. تعطى الأمور فى حياتك حجمها الحقيقى. أصبحت أكثر جرأة وشجاعة وإقدام فأنت لم تعد تخاف مما يخافه الناس بل لم تعد حتى تراه.

اللّٰه تعالى يقول:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ
وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ
وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت ٤٤]
.

*****

السَّمُّ

كبسولات المشاعر

تخيل معي...

أنه تم اختراع كبسولات دوائية تُصيب بالخوف. إذا تناولت واحدة منها، ستجد نفسك تخاف من المستقبل، وتخاف أن تفقد وظيفتك، وتخاف أن تضيع منك فتاة أحلامك. هذه الكبسولات تزيد مستوى الخوف لديك إلى أضعاف مضاعفة.

وتخيل أن مثل هذه الكبسولات أصبحت تُباع في السوق لكل المشاعر السلبية: الخوف - الحزن - اليأس - الإحباط - القلق - التوتر - الندم - الشك - قلة الثقة في النفس - الكسل - العجز - الجبن.

ما رأيك أن نجرب هذه السموم على أكثر إنسان سعيد في الدنيا؟ ملياردير، مشهور، ناجح، قوي، وسيم، لديه أجمل زوجة وأبناء، ويعيش في أروع قصر على الأرض.

إذا تعاطى هذا الشخص تلك السموم يوميًا، إلى أين ستصل حياته؟ هل سيظل أسعد إنسان في الدنيا، أم ستتحول حياته إلى جحيم حقيقي؟ سيحسده كل من حوله على ما يملكه، أما هو فيعيش في عذاب لا يشعر به إلا هو.

إذن، إلى أين ستصل حياتنا نحن المساكين، ونحن نتعاطى كل هذه الحبوب طوال الوقت؟ الله تعالى يقول:

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة ١٠]

العدو الخفي

كلمنا الله سبحانه وتعالى عن مخلوق حقيقي له إمكانات وقدرات أكثر تأثيرًا من تلك السموم. علمنا كيف نحمي أنفسنا من سمومه، وأخبرنا أنه معنا ليل نهار، لكنه متخفٍ ولا نراه. إنه يبث سمومه في دمائنا طوال الوقت.

قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ:

إنَّ الشَّيطانَ يَجري مِن ابنِ آدمَ مَجرى الدَّمِ. (صحيح البخارى ومسلم).

الله تعالى يقول:

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء ٦٤]

وحذرنا أيضًا من أننا نتعامل مع عدو يكرهنا كرهًا عجيبًا، حتى أنه رمى بنفسه في قلب الجحيم، راضيًا بالعذاب لنفسه، فقط ليرانا نحن أيضًا نتعذب معه. الله تعالى يقول:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص ٨٢]

لماذا ننسى الشيطان؟

المشكلة الأساسية هي: أنني لا أتعامل مع الشيطان على أنه واقع وحقيقة، وذلك للأسباب التالية:

- أن العلم المادي لا يثبت وجود الشيطان في حياتي، فكيف أجزم بوجوده؟

- أنا فقط سمعت عنه من أهلي وأصحابي، وسمعت أنه تم ذكره في القرآن، لكنني لا أراه، فأنسى وجوده دائمًا، ولست مهتمًا بالأمر كله.

- هو نفسه يسعى بكل جهده لكي أنسى وجوده.

وهنا تأتي معجزة رائعة أخرى من كلام الله: أن الله هو الذي سيكلمك عن الشيطان.

هل تدرك معنى أن يكلمك الله، الذي كلامه ليس كمثله شيء؟

الله تعالى يقول:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ٢٧]

الإذن

لا شك أن كلام الله أكثر تأثيرًا على إدراكك وعقلك من عينيك. الدليل هو أن الأقوام السابقة لم تؤثر فيها المعجزات التي كانت تتحقق أمامها، ولكن من كان لديه استعداداً للإيمان ولم يكن رافضًا للحق، كان الله سبحانه وتعالى هو الذي يأذن له بالإيمان فيؤمن. الله تعالى يقول:

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام ١١١]

عينيك وإحساسك وجلدك وعقلك لا شيء أمام كلام الله ومشيئته. هذا يعني أن عندما يكلمك الله عن الشيطان، وأنت تطلب الهدى من خلال تلاوة القرآن، فإن الله قادر أن يجعل الشيطان كأنه أمامك. ستراه، وتسمع صوته، وتميزه. ستشعر بعداوته وتراها وتلمسها. سيصبح من المستحيل تجاهل كل هذا الشر. بلا إرادة منك، لن تستطيع تجاهله بعد ذلك أبدًا. كيف ستتجاهل مخلوقًا قبيحًا أصبحت تراه أمامك وتشعر بعداوته الهائلة لك؟

الله تعالى يقول:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾
[البقرة ٣٦]

رحلة عبر الزمن

سيأخذك كلام الله إلى إبليس نفسه، وتراه حين لم يسجد مع الملائكة، ثم سيطوف بك عبر الزمن لترى كم كان الشيطان ناجحًا مع أقوام كثيرة: قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، وغيرهم. سترى كيف خدعهم الشيطان، وكيف هلكوا بعد أن استهانوا به وبمكره.

تخيل معي أن تهلك مع قوم عاد، ثم تعود إلى غرفتك مرة أخرى لتأخذ فرصة جديدة.

تخيل أن تغرق مع جنود فرعون، ثم تعود إلى سريرك. لن تتغافل أبدًا بعدها عن هذا العدو. لقد رأيت كيف كان سببًا في تدمير وهلاك شعوب وأمم بأكملها. لن تترك ثانية واحدة له ليتكلم. ستكون دائم اللجوء إلى الله منه، مستعيذًا بالله من شره. الله تعالى يقول:

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ٤٣] .

سيعرفك الله كل حيله وألاعيبه، ثم يطمئنك: كل ما عليك هو أن تلجأ إلى الله منه.

ليس له سلطان عليك ما دمت لا تريد أن يكون له سلطان عليك بلجوئك إلى الله. الله تعالى يقول:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل ٩٩] .

تأثير إلغاء سلطان الشيطان

هل تدرك ما هو تأثير أن تلغي تأثير هذا المخلوق على حياتك؟ هذا المخلوق هو السبب في كرهك لنفسك، ولظروفك، ولقدرك. هو السبب في همك وغمك وكسلك وجبنك. هو السبب في القلق، وقلة الثقة في نصر الله ووعده. هو السبب الرئيسي في كل ما هو سلبي في حياتك، سواء مباشرًا

بوسوسته وقدراته، أو غير مباشر بأن يصيبك الغم نتيجة معصية الله، والتي زينها الشيطان لك. الله تعالى يقول:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم ٢٢]

الحياة بعد التحرر من الشيطان

مشاكل كثيرة في حياتك وهمية ستختفي باختفاء تأثيره عليك. ومشاكل أخرى ستأخذ حجمها الحقيقي بعد أن كان هو السبب في أنك تراها أضعافًا مضاعفة.

حياتك ستتحول بمعنى الكلمة، وستتغير تغييرًا إعجازيًا. وكان من المستحيل أن يحدث هذا التغير بامتلاكك لأي شيء في الدنيا أو تحقيقك لأي هدف، مادامت سمومه تلك يحقنها فى عروقك طوال الوقت.

*****

الْحِسَابِ

ماذا لو وجدت نفسك تتعرض لحادث سقوط طائرة؟ كيف سيمر عليك الوقت بين إعلان قائد الطائرة بوجود عطل في المحرك، وحتى إصطدامها بالأرض؟ قد تموت في مكانك قبل أن تصل إلى الأرض، وستعيش أسوأ تجربة في حياتك كلها على الإطلاق. وإذا كانت هناك فرصة للنجاة، قد ترتكب جريمة قتل حتى تحظى بهذه الفرصة، مثل أن تنزع مظلة من شخص آخر.

ماذا لو أن هذا الحادث لم يكن إلا مجرد اختبار لك؟ ماذا لو كان يتم تصويره ومتابعته مباشرة؟ هل كان رد فعلك سيتغير إذا كنت تعرف أنه اختبار؟ بالطبع، كان رد فعلك سيتغير تمامًا. كنت أيضاً ستخاف، ولكن قليلاً، مثل خوفك في لعبة ملاهي تهبط بسرعة وتخطف قلبك معها. ولكن بدلًا من الصراخ والعويل والبكاء، كنت ستحرص على أن تبدو شجاعًا وبطلًا. وبدلًا من أن تنزع مظلة شخص آخر، كنت ستضحي بمظلتك

وتعطيها لغيرك، لتصبح البطل المنقذ. لاحظ أنك أنت نفسك لم تتغير، ولكن معلومة واحدة قد تحول شخصًا من قاتل جبان إلى بطل شجاع.

المعلومة الفارقة: من يملكها؟

إذا كانت حياتنا الواقعية بها معلومة فارقة كهذه المعلومة، من الذي يملكها ويملك أن يعرفنا بها؟ من تتوقع أن يخبرنا بالحقيقة التي تتحول بها حياتنا من غم وهم وحزن، إلى أمل وسعادة وقوة؟ من غير الله جل جلاله يملك أن يغير حياتنا تمامًا؟

الله تعالى يقول:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة ١٥٥]

ويقول أيضاً: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٥]

كلام الله عن الحساب

معجزة أخرى، ورحمة أخرى من الله لنا في القرآن الكريم، أنه كلمنا سبحانه عن الحساب. كلام الله لك عن يوم الحساب ليس كمثله شيء. أنا وكل من في الأرض من إنس وجن، إذا اتحدنا معًا بهدف أن نغير نظرتك للحياة، فمن المؤكد أنه يمكننا ذلك. ولكن كلام الله لن يغير نظرتك للحياة فقط، بل سيغيرك أنت بأكملك للحياة، وسيغير حياتك كلها لك. الله تعالى يقول:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٢]

ويقول أيضاً: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر ٦٩]

ستجد في نفسك وإدراكك وكأنك كنت هناك، وعشت التجربة بأكملها، لقد وقفت بين يدي الله للحساب، وقرأت كتابك بنفسك، وشهدت عليك جوارحك. كنت وحيدًا بين يديه، لا يتكلم

فمك، ولكن قلبك وعقلك وجوارحك هي التي تشهد عليك. الله تعالى يقول:

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور ٢٤] .

هناك فى أرض الحساب وجدت المفاجأة: الأمور في الدنيا ليست كما كانت تبدو أبدًا. بل كانت أبسط وأيسر مما كنت تظن. وكل ما تعرضت له فيها لم يكن إلا مجرد أسئلة بحتة لا أكثر. أمرك الله بالصلاة، ثم جاءك الكسل يُأَمِّرُك بالتأجيل... فمن أطعت؟ ويا للأسف، كانت إجابتك: أطعتُ الكسل!

أمرك الله بغض البصر، ثم أمرتك الشهوة بإطلاق النظر. ياترى من أطعت؟ أجبت مقهوراً: أطعت الشهوة.

أمرك الله أن تستعين به وحده لا شريك له، وأمرك عقلك أن تستعين بمكرك وحيلتك. هل إستعنت بالله؟ أجبت نادماً: إستعنت بنفسى.

أصابك الله بضائقة مالية، ثم سألك: من السبب فيها؟ فأجبت إجابة خاطئة أن السبب هو الكسل، وقلة التخطيط، وقلة

المهارة. ولكن الحقيقة، أن اللّٰه كان قد قدرها عليك، لحكمة عنده في تربيته لك وامتحانه لك.

وها قد عدت من جديد من أرض المحشر إلى حياتنا الدنيا، لتأخذ فرصة أخرى. وهكذا، آلاف الأسئلة بإجاباتها التي تُرضي اللّٰه، سيبرمجها كلام اللّٰه في عقلك ووعيك. فتجد الإجابة التي ترضيه دائمًا حاضرة في ذهنك، في كل موقف سترى السؤال واضحاً أمامك والإجابة حاضرة فى ذهنك، من في الوجود كله يستطيع أن يعطيك أسئلة امتحانك بإجاباتها إلا كلام اللّٰه لك؟

إنسان جديد

كل إدراكك ووعيك سيتغير، وكأنك إنسان جديد. سينزع اللّٰه ذلك الكئيب القديم، ويأتي بآخر متفائل ومتزن وقوي. تخيل أن ترى الحياة من منظور جديد تمامًا. تتحول من ذلك الشخص الذي قضى أسوأ تجربة في حياته وهو يظن أن الطائرة تتحطم به، إلى بطل حقيقي لا يخاف.

أول شيء سيتغير هو نظرتك للأمور: لم تعد هناك مشاكل كبيرة طويلة الأمد كما كان الأمر. ولكن وكأن مشاكلك كلها

تفتت إلى مواقف صغيرة، أو مجموعة اسئلة صغيرة لا تزيد مدة الموقف الواحد أو السؤال عن دقائق معدودة أو بضعة ساعات على الأكثر.

أصبحتَ لا تكفُّ عن سؤال نفسك" :*ماذا يريد اللّٰه مني في هذه اللحظة؟*" فلا تهتم بالغد، فقد كشف اللّٰه لك الحقيقة: أن المستقبل ليس في يدك، بل هو بين يديْه وحده. إنك في اختبار بسيط، لكنه عظيم؛ يختار لك اللّٰه أسئلته بدقة، فلا يُعطيك إلا ما يناسب قوتك، ويُحسن تقدير قدراتك.

وأسئلة هذا الاختبار ليست سوى كل نفس تتنفسه، وكل لحظة تعيشها؛ يُمتحنُك اللّٰه فيها بما يشاء، وعليك أن تُجيب. أما إجابتك الحقيقية، فهي أن تفعل ما يُرضيه في "*الآن*" الذي أنت فيه، لا غير.

اللّٰه تعالى يقول:

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ

ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [الرعد ١٨]

*****

العُمْلَةُ الأَقْوَى

دعني أخبرك عن عملة سحرية لا مثيل لها.. عملة تمتلك قوة شرائية خارقة تمكنك من شراء **المستحيل ذاته!**

بها تستطيع:

- شراء الشفاء من السرطان **حتى في اللحظات الأخيرة.**

- امتلاك مفتاح حل **أعقد المشكلات.**

- تحويل الأزمات إلى نجاحات **قبل أن تولد.**

- صناعة السعادة **حتى من رحم المعاناة.**

إنها عملة لا تشبه أي عملة عرفها العالم.. فما هي برأيك؟

إنها **الحسنة** - العملة الإلهية التي تعلو فوق كل عملات الدنيا!

الله تعالى يقول:

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [النحل ٣٠]

إنها عملة من نور سماوي.. لا يبصر بريقها إلا من أضاء الإيمان قلبه، ومن أيقن أن الله هو: الْمُقِيتُ الذي يُدبّر الأرزاق، الْمَالِكُ الذي نتحرك في مُلكه، الرَّزَّاقُ الذي لا يُعطي سواه.

أما أصحاب القلوب المظلمة:

- الكافر ينكر وجودها ويستهزئ،
- المشرك يبحث عنها في الأصنام الزائفة،
- المنافق يرفع شعارها بينما لايسعى لجمعها !

الحسنة.. هي **البطاقة الذهبية** للمؤمن: تشتري له المستحيلات. تفتح له الأبواب المغلقة. تكتب له السعادة قبل ولادتها!

ولن تؤمن بها إيماناً حقيقياً، وتدرك قيمتها وأثرها على واقعك الحالى، إلا حين يُحدثك ربك عنها في القرآن..

فإذا تدبرت آياته، رأيت خزائن السماوات ورأيت أن لكل شيئ نعرفه خزنة كاملة مستقلة. حتى أن أفكارنا ومشاعرنا نفسها لها خزائنها الخاصة: خزنة للفرح، خزنة للأمل، خزنة للخوف. والعجب كل العجب.. أن مفاتيحها بين يديك الآن!"

الله تعالى يقول:

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر ٢١]

الحياة بالنسبة للمؤمن بعملة الحسنات أسهل بآلاف المرات من غيره، لأن الحسنات متاحة للجميع وسهلة المنال. مجرد التسبيح يفتح لك شلالًا من الحسنات، وهذه الحسنات تفيض عليك بالخيرات في الدنيا قبل الآخرة.

ولكن حتماً سيخطر ببالك سؤال محير: أين تختفي هذه الكنوز الإلهية؟ كيف نرى أعظم الصالحين بيننا يعيشون في فقر أو مرض؟

هنا يكمن السر الإلهي الذي لا يدرك حقيقته إلا قلوب المؤمنين:

فالله تعالى - ولله المثل الأعلى - هو الوكيل الحصري على خزائن حسناتك. المستثمر الحكيم لثروتك الروحية. المدير المالي الذي يصرفها بأحسن التقدير. إن ربك يختار لك أفضل صيغة استثمار لحسناتك. يصرفها بالوقت والمقدار المناسبين تماماً لك.

حسنة واحدة بدلاً من أن ينفقها عليك مباشرة، قد يضاعفها اللّٰه لك إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، فهو الكريم الذي يعطي بغير حساب. قد ترفع تسبيحة واحدة صادقة، فيمنحك اللّٰه بها توفيقاً لمواصلة الذكر، فينمو رصيدك من الحسنات كما تنمو البذرة الطيبة لتصبح حقلاً مثمراً.

قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم:

(مَنْ تصدَّقَ بعدْلِ تمرَةٍ مِنْ كسبٍ طيِّبٍ، ولَا يقبَلُ اللّٰهُ إلَّا الطيِّبَ، فإِنَّ اللّٰهَ يتقبَّلُها بيمينِهِ ، ثُمَّ يُرَبيها لصاحبِها، كما يُرَبِّى

أحدُكم فَلُوَّهُ حتى تكونَ مثلَ الجبَلِ) (رواه البخاري ومسلم) -
فَلُوَّهُ : الناقة الصغيرة

إن الله تعالى يأخذ منك القليل من العمل الصالح، ثم يجعله ينمو ويتكاثر بحكمته ورحمته. وكما أن المزارع يزرع بذرة صغيرة فتصبح شجرة كبيرة، كذلك الحسنة الواحدة قد تتحول إلى خير عظيم لا يتخيله الإنسان. الله تعالى يقول:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١]

فلا تغترّ بما تراه العيون، فقد تكون فقيرًا في أعين الناس لكنها ليست الحقيقة. إن ذلك الفقر الذي تعيشه قد يكون استثمارًا حكيمًا لثروتك. وكذلك مرضك الذي يراه الناس نقمة، هو في حقيقته كنزٌ خفي. الله العليم بحالك قد اختار لك هذا الطريق، لأنه يعلم ما فيه من خير عاجل وآجل لك. فبينما يراك الناس تتألم، أنت تشعر ببركة هذا البلاء: سكينة تنزل على

قلبك، ورضى يملأ نفسك، ونعمة القرب من الله التي لا تقارن بملذات الدنيا كلها. وأمل بأن القادم حتماً أفضل.

كم هي سهلة هذه الحياة حين نؤمن بالعملة الحقيقية التي تحكمها! يمكنني جمع ثروات لا تحصى من هذه العملة بتدبري للقرآن، وبالذكر، وبالصدقة، لتتحول حياتي جذريًا في ساعات أو أيام معدودة. وهذا هو وعد الله بالحياة الطيبة للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة. الله تعالى يقول:

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل ٩٧]

*****

إِبْرَاهِيمُ

تجمّع الناس في ساحة القرية، وهم يشاهدون عمود الدخان الكثيف يرتفع إلى السماء. كانت ناراً ضخمة أشعلها الملك الكافر ورجاله، تلهب وجه الأرض وتحرق الهواء بنفسها. جاءوا بالنبي إبراهيم -عليه السلام- مقيداً بالحبال. بدفعة قاسية، ألقوا به في قلب اللهيب. صرخ الناس، وغطّت ألسنة النار جسده.

سيأخذك كلام الله هناك، إلى ذلك اليوم المشهود، نفس اليد التى دفعت سيدنا إبراهيم فى النار ستدفعك أنت ايضاً معها. وستدرك وقتها أن سماع القصة شيئ وأن تكون أنت بطلها شيئ آخر تماماً. رأيت بعينيك وجه إبراهيم عليه السلام المبتسم، تحركت أقدامك بين اللهيب كما لو كنت تمشى فى روضة خضراء. لتصرخ بكل كيانك ماهذا النار لاتحرق!! إنها حقاً لم تحرقنى.

هذه المغامرة التى حفرها فى قلبك كلام اللّٰه،سيكون لها أثراً عميقاً حقيقياً عليك طوال حياتك. اللّٰه تعالى يقول:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء 69]

لقد إكتشفت أن النار لا تحرق بذاتها، بل بإذن اللّٰه. إنها مجرد أداة ينفّذ بها الخالق مشيئته. فلو أراد اللّٰه، لسلب النار خاصية الإحراق، أو لجعل الماء يحترق بدلاً منها!

هذه الحقيقة الإيمانية العميقة محفورة الآن فيك، وهى تفصل بين نوعين من الناس:

- المؤمن الذي يرى يد اللّٰه خلف كل سبب
- والغافل الذي يظن أن الأسباب تعمل بقوتها الذاتية

فلا ارتباط ضروري بين النار والاحتراق، ولا بين الماء والإرواء. كل شيء في الكون ينفذ أمر ربه. لو قال اللّٰه للثلج: "احرق!" لاشتعل لهيباً، ولو أمر الحجر أن يروي العطشان لانفجرت منه الأنهار.

هذا هو الإيمان الحق: أن ترى القدرة الإلهية فوق كل سبب، وأن تعلم أن النتائج لا تأتي من الأسباب، بل من مسبب الأسباب -

جل جلاله. ماكنت أبداً لتؤمن إيماناً صادقاً ينعكس على رؤيتك للحياة إلا بهذه المغامرة التى لن يرسلك إليها إلا كلام اللّٰه جل جلاله.

التحرر من عبودية الأشياء

لم تعد ترى الأشياء كما كنت تراها أبداً، الأموال، والمنصب، والصحة، لا تملك أن تُسعدنا أو تُشقيَنا، تمامًا كما أن النار لا تملك أن تحرق بذاتها. لقد كفرت كفراً صادقاً، بقدرة أى شيئ على فعل أى شيئ فى ملك اللّٰه، إلا بإذن اللّٰه له أولاً. يقول اللّٰه اتعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٥٦] .

أصبحت مؤمناً حقاً أن اللّٰه قادر على أن يجعل المال سببًا في الشقاء، كما يستطيع أن يجعل الفقر بابًا للسعادة. اللّٰه تعالى يقول:

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 188]

ويقول أيضًا: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد ١٤]

أنت الآن على يقين تام، أن القوة ليست في أصحاب السلطة، لأنهم - مثل النار - لا يستطيعون أن يؤذوا أو ينفعوا إلا بأمر الله. بعد أن رأيت عجز النار على إحراقك وأنت فيها، أصبح قلبك الآن طاهر، حر، مطمئن. لم يعد بحاجة إلى التذلل لأي مخلوق. لم يعد متعلقًا بأي شيء مادي. لم يعد يخاف من أي شيء في الدنيا. لقد استسلمت لله وحده، وأدركت أن له مقاليد السموات والأرض، وأن كل شيء في يده. الله تعالى يقول:

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى ١٢]

لقد أحرقت نار هذه المغامرة ما فى قلبك من تعلق بأى شيئ إلا الله. أنت الآن على استعداد للإيمان الصادق بـ "لا إله إلا الله".

الله تعالى يقول:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد ١٩]

التعلق بالله وحده

الآن، أنت لم تعد ترجوا إلا الله، لأنك تعلم أنه وحده القادر على أن يسعدك حتى في أصعب الظروف. هو القادر أن يريحك في فقرك ومرضك، بل حتى في النار نفسها لو شاء. فالسعادة والراحة ليست بيد البشر أو الظروف، بل هي بيد الله وحده.

الله تعالى يقول:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود ١٢٣]

من الضعف إلى القوة بالله

لقد انتقلت من العيش في قلق الدنيا وضعفها، إلى الحياة في رحمة اللّٰه وسعته. كنت ضعيفًا، والآن أنت قوي بالله. لم يعد هناك شيء اسمه فقر أو ضعف تخاف منه، وكيف أخاف شيئ لايملك لي ضرر أو نفع؟ اللّٰه تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال ٢]

كلام اللّٰه سيحفر فى قلبك حقيقة أن المال ليس سببًا للغنى، وأن الجاه والمنصب ليسا سببًا للعزة. سيريك أناسًا يملكون المال لكنهم فقراء، وأناسًا في مناصب عليا لكنهم أذلاء، لترى أن اللّٰه وحده هو المغني، وهو المعز، وهو المذل.

إن "لا إله إلا اللّٰه" تحول حياتك من نار إلى جنة، لأنك لن ترى الأسباب بعد الآن، بل سترى المُسبب وحده. إن ابتسم أحد في وجهك، فبفضل اللّٰه. إن ظلمك أحد، فبتقدير اللّٰه، لحكمة يعلمها وحده. إن عشت فقيرًا، فهو رزق من اللّٰه، لتزكية نفسك وتقويتها. أنت الآن تعلم أن ما يصيبك ليس مجرد

صدفة، وليس بسبب سوء تخطيط، ولا حتى بسبب تقصير منك. كل ما يحدث لك هو بعلم الله وحكمته.

الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]

بهذا اليقين، ستعيش في سكينة لم تعرفها من قبل، وستتحول حياتك إلى جنة من الرضا والتسليم لحكمة الله.

****

ٱلنَّجَاحُ

النجاح.. مشيئتي أم مشيئة اللّٰه؟

هل أنا من يقرر النجاح ويخطو أول خطوة؟ أم أن مشيئة اللّٰه هي التي تمهد الطريق ثم تأتي خطواتي بعد ذلك؟

قد يخبرك عقلك: "*القرار بيدي، والاختيار مسؤوليتي، وسأحاسب على ما أفعل!*" – وهذا صحيح، فأنت حرّ في اختياراتك، وستُسأل عنها.

لكن الحقيقة أعمق من ذلك..

الحقيقة: مشيئة اللّٰه أولًا.. ثم مشيئتك. اللّٰه تعالى يقول:

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29].

ويقول أيضاً: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: 55-56].

أي أن رغبتك في النجاح، بل حتى فكرتك الأولى عنه، لا تأتي إلا بعد مشيئة اللّٰه!

أبو لهب.. المثال الأوضح على هذا، لماذا لم يُقلب أبو لهب صفحته ويُحاول التوبة ولو ظاهريًا؟ لأن اللّٰه لم يشأ له ذلك، فظل قلبه مغلقًا حتى النهاية. اللّٰه تعالى يقول:

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (المسد: 1).

ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس ٩٦] .

ويقول أيضاً: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ [مريم ٧٥]

المفارقة العجيبة! **أنت مخيَّر** في قراراتك، وستُحاسب عليها. ولكنك لا تختار شيئًا إلا بعد أن يشاءه اللّٰه لك أولًا. قد يصعب عليك تفسير هذا التناغم بين المشيئتين، لكنك لست مُطالبًا بفهمه، بل بالإيمان به. فالله أعلم بأسرار خلقه، وهو العدل الذي لا يظلم أحدًا.

المشيئة الإلهية

اقرأ سورة يوسف بتدبر، ويوماً بعد يوم ستجد نفسك وكأنك كنت على الحقيقة كل شخصية في هذه القصة: أنت يوسف، وأنت إخوته، وأنت عزيز مصر، وحتى الشيطان الذي وسوس لهم. في كل شخصية، ستجد أنك تخطط وتفعل ما تريده بكامل حريتك، ولكن النتيجة النهائية هي ما شاءه اللّٰه من البداية.

عندما كنت إخوة يوسف، خططت بكامل إرادتك لقتله ثم ألقيته في الجب. وعندما كنت يوسف، اخترت أن تخاف اللّٰه، وأحببت أن تدخل السجن على أن تعصى اللّٰه. وعندما كنت العزيز أردت أن تستخلص يوسف لنفسك. في كل هذه المواقف، لم تُجبر على أى شيء، ولكنك اخترت بحرية تامة. ومع ذلك، كانت النهاية هي ما شاءه اللّٰه منذ البداية: أن يسجد إخوة يوسف له كما رأى في رؤياه.

فرعون وموسى

حين تأخذك كلمات اللّٰه إلى قصة فرعون وموسى، ستجد نفسك أنك أنت فرعون، وأن موسى يقف بين يديك. ستكتشف أنك لا تملك رغبة قوية في قتل موسى، ولكن كيف هذا؟ لأن اللّٰه لم يشأ لفرعون أن يقتل موسى وهو واقف أمامه، وبالتالي لن يشاء فرعون ذلك.

الكنز

الكنز هنا هو أن خاتم سليمان سيخلق فى قلبك الإيمان التام بأن كل شيء بيد اللّٰه، وأن مشيئته تسبق مشيئتك. وقتها ستجد أنك تتخلص من كل همومك دفعة واحدة، لماذا؟

لأنه لو شاء اللّٰه لك أن لاتحمل هم الغد، فلن يخطر ببالك هذا الهم أبدًا.

ولأنه لو شاء اللّٰه لك أن تكون متفائلًا ونشيطًا ومحبًا للحياة، فإبتسم لقد أصبحت هكذا.

ولأنه لو شاء لك أن تصبر وترضى فى المصائب، فلن تجد فى قلبك وقتها إلا الصبر والرضى.

لو شاء لك أن تفكر كرجل ناجح وتعيش كرجل ناجح، فإطمئن أنت الآن هذا الرجل.

لو شاء لك أن تحب ماينفعك وتكره مايضرك، إطمئن فقد تم لك ذلك.

لو شاء لك أن تحب الحياة وتحب نفسك وتحب ماقسمه لك، إطمئن أنت الآن تعيش حياة طيبة.

إذا أراد اللّٰه هدايتك، فاطمئن.. فقد اهتديت.

فالله يهدي من يرى في قلبه خيرًا واستعدادًا للإيمان، وما عليك إلا أن يرى منك رغبةً صادقةً في الهدى.

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} (العنكبوت: 69).

- فمن يطلب الحق بصدقٍ، ويفتح قلبه للإيمان، يهديه اللّٰه برحمته.

- ومن يكون مستعدًا لقبول الحق، يمنحه اللّٰه الهداية:

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} (القصص: 56).

- ومن يدعو ربه بإخلاص، يستجيب له:

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (غافر: 60).

العدل الإلهي يُوجب أن من يريد الحقَّ، يجده.

فلا تقلق.. فطالما في قلبك نورٌ يسعى للهدى، فالله معك.

وإذا أراد اللّٰهُ إضلالَكَ، فاعلَمْ أنَّ الأسبابَ قد توافرت..

فلا يُضلُّ اللّٰهُ عبدًا إلا بعدَ العدلِ والحكمة،

{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (فُصّلت: 46).

- فمن يُصرُّ على الضلالِ بعدَ البيان، يُزيغْ قلبَه:

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} (الصف: 5).

- ومن يتكبَّرْ عن الحق، يُطبَعْ على قلبِه:

{كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} (غافر: 35).

- ومن يهجرْ ذِكرَ الرحمن، يُسلَّطْ عليه الشيطان:

{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (الزخرف: 36).

فاللهُ لا يظلمُ، ولكنَّ العبادَ يظلمون أنفسَهم..

فكما أن الهداية تُنال بالصدق.. فالضلالة تُكتسب بالإصرارا!

فاحذر أن تُغلَق أبواب الرحمة، ويُفتَح باب الغواية".

العجز عن فهم مشيئة اللّٰه ومشيئتنا

هذا العجز ناتج فقط عن نقص المعلومات. حين سألت الملائكة عن الحكمة من استخلاف آدم في الأرض، أجابهم اللّٰه: {إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 30).

أى أن الصورة أمامكم ليست كاملة، هناك أشياء أنا اراها وأنتم لاترونها وهى السبب فى هذا الإستخلاف. الصورة أمامنا وأمام الملائكة أنفسهم ناقصة محدودة، وهناك أجزاء من المشهد

لا يعلمها إلا اللّٰه. وهو ليس بحاجة لشرحها، ونحن بحاجة للإيمان بها وتصديقها والتصرف والعيش بناء عليها.

لا حول ولا قوة إلا بالله

نحن مقهورون تحت إرادة اللّٰه ومشيئته. ماذا لو شاء اللّٰه أن يضلك؟ ماذا ستفعل إلا أن تضل بكامل إرادتك. ماذا لو شاء اللّٰه لك الفشل أو الدمار فى حياتك؟

اللّٰه تعالى يقول:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر ٣٨] .

الحقيقة: ليس لنا إلا أن نقف بين يدي اللّٰه متضرعين، راجين رحمته. وإذا وقفت هذه الوقفة، فافرح بها، فقد شاء اللّٰه لك أن تقفها فضلًا منه ورحمة.

واحذر أن يغضب الله عليك، فحينها ستشاء أنت وبكامل إرادتك أن تضل الطريق. ليس لنا طريق إلى النعيم إلا بكلام الله. فاقرأه بتدبر، واطلب من الله الهداية، وستجد أن كلام الله ليس كمثله شيء. الله تعالى يقول:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود ٥٦] .

ويقول أيضاً: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران ١٦٠] .

*****

السَّعْيُ رِزْقٌ

أيهما أجمل؟ هل الحياة التى يكون فيها رزقك على الله، لكنك مسؤول عن السعي إليه؟ أم الحياة التى يكون رزقك فيها على الله، وسعيك أيضًا على الله؟

الله تعالى يقول:

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق ٣] .

تأمل جمال الحياة عندما تؤمن وتصدق أن السعي في طلب الرزق ليس من نفسك، بل هو أيضًا رزق من الله. حينها، ستتلاشى عشرات الهموم والمخاوف التي تثقل قلبك، مثل القلق من التقصير في طلب الرزق، والخوف من عدم تحصيله.

الله تعالى يقول:﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: 6)

لم يضمن الله فقط الرزق لعباده ولدواب الأرض، بل ضمن لهم أيضًا وسيلة الوصول إليه. فحين يكتب الله لك رزقًا، فهو يكتب لك أيضًا السعي الذي تناله به، فالسعي نفسه رزق.

يقول الإمام ابن تيمية:

"الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه، ألهمه السعي والاكتساب" .

الله تعالى يقول:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود ٥٦] .

ويقول أيضاً: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس ٣١] .

الفرق بين البشر والطير

فطرة الطير تقتضي أمرين:

أولهما: أنه يعلم أن الحبوب التي يأكلها رزق من اللّٰه.

والثانى: أنه يدرك أن سعيه من موضع جوعه إلى موضع شبعه وإطعامه هو أيضًا رزق من اللّٰه. قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم:

"لو أنكم تتوكلون على اللّٰه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا". [رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد]

الطير لا يحمل هم الرزق:

- لا يخشى أن يبحث عن طعامه فلا يجده، لأنه يعلم أن رزقه مكتوب وميسر.
- لا يقلق أن يأخذ غيره رزقه، لأن اللّٰه قدر لكل مخلوق رزقه بتمامه.
- لا يلوم نفسه إن كان طعامه قليلًا، لأنه يؤمن أن ما حصل عليه هو ما قسمه اللّٰه له. ولم يكن ليتحصل أبداً على ماهو أقل أو أكثر.

- لا يرهق نفسه في جمع أكثر مما يحتاج، لأنه يدرك أن الزيادة ليست بيده.

الله تعالى يقول:

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت ١٠] .

ماذا لو أن الطير يفكر بعقل الإنسان!

لو كان الطير يفكر مثلنا، لملأ عقله بالهواجس:

- "إلى أين أذهب؟ العالم واسع جدًا أمامى "!
- "هل سأجد طعامًا؟ وإن لم أجده، ماذا أفعل؟ هل سأموت من الجوع؟"
- "هل أبحث في مكان آخر؟ وهل ما أجده سيكون كافيًا؟"
- "وإن وجدت طعامًا اليوم، هل سأجده غدًا؟"
- "ماذا لو سبقني طير أقوى مني؟"

- "هل كان بإمكاني البحث أكثر؟ هل أنا ضعيف؟ ياليتنى كنت بقوة الصقور؟"

كل هذه المخاوف لم تخلق إلا في قلوب البشر، لأننا ابتعدنا عن كنزنا الأعظم في الدنيا، وهو كلام الله عز وجل. الله تعالى يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق ١٦] .

كلام الله شفاء

حين ابتعدنا عن تدبر القرآن، فقدنا نور الإيمان بحقائق ثابتة فى حياتنا، فامتلأت قلوبنا بالقلق والهم وسوء الظن بالله. لكن الله جعل كلامه شفاء لما في الصدور:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 57).

كلام الله يأخذك في تجربة حقيقية ليس كمثلها شيئ؛ فهو سيجعلك فيها تعيش بنور قلوب الموقنين، لتذوق النعيم الذي هم فيه.

وسيجعلك فيها أيضاً تذوق القلق والهم الغم في قلوب الضالين، فتدرك الجحيم المستعر في صدورهم.

ثم يعيد إليك قلبك ثانية،

فلا يكون لك هم بعدها إلا أن تحيا بقلوب الموقنين بالله ثانية، بعد أن أذاقك الله ماهم فيه من نعيم مقيم.

القرآن سيُبيّن لك كيف أن أمرك كلّه بيد الله، ثم سينقلك من مجرد العلم إلى حقيقة اليقين. سيعيد إليك فطرتك التى فطر الله الناس عليها، سيشفيك مما لحق بك من كيد شياطين الإنس والجن طوال ماسبق من حياتك.

ستدرك أنك لا تفكر ولا تتحرك إلا بحوله وقوته. ستؤمن أن كل لحظة في حياتك، بكل تفاصيلها، هي رزق مكتوب. ستفهم أن التقرب إلى الله، بتدبر كلامه والعمل به، يجعل سعينا في الرزق جزءًا من حياة طيبة هادئة وعد الله بها عباده المؤمنين. الله تعالى يقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: 97).

ويقول أيضاً:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨] .

تنبيه!

معنى أن السعي رزق من الله هو:

- قد يرزقك الله سعياً هادئاً مباركاً، إذا كنت من عباده الصالحين.

- أو قد يجعل سعيك مليئاً بالقلق والمشقة والألم، إذا كنت مستحقاً للعذاب في الدنيا (كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه 124]

باختصار، الرزق نفسه قد تحصل عليه:

- **بقلب مطمئن**، فتستمتع به وتشكر الله عليه.

- أو تحصل عليه **بخوف وضيق**، فلا ترضى به حتى بعد الحصول عليه.

الله تعالى يقول:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) ﴾ [الحديد] .

الله يقدّر الأرزاق لك بناءً على علمه بحالك. قد تحتاج إلى تشجيع، أو تأديب، أو تعلّم، أو عودة عن طريق خاطئ. كما أن رزقك وسعيك أيضاً جزء من ورقة امتحانك في الحياة.

الله تعالى يقول:

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى ٢٧] .

ويقول أيضاً: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِى ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد ٢٦] .

كلام الله سيؤدبك ويوجهك دون أن تدرك هذا، سيحفر فيك توجيهاته بلا إرادة منك، ستجد نفسك تنصح من حولك:

- لا تظن أن مهارتك في الكسب مستقلة عن الله، فمهارتك نفسها رزق.
- لا تعتقد أنك قادر على تحقيق شيء دون إذن الله، فهذا محض وهم.
- لا تظن أنك إذا ركضت "ركض الوحوش" ستحصل على أكثر مما كُتب لك.
- لا تُجهد نفسك في إرضاء من لم يكتب الله لك رضاه، فلن تجني منه إلا العناء.
- لا تركض في دوائر مغلقة لا تعود عليك إلا بالمشقة.
- لا تجمع مالًا ليُنفقه غيرك.

ستجد نفسك تسأل الله رزقًا طيبًا بسعي طيب، و أن يبارك لك في القليل، فلا تحتاج للكثير، وأن يسخر لك الأسباب، فلا ترهق نفسك بلا جدوى. لأنك في النهاية، لن تأخذ إلا ما كتبه الله لك، وبالطريقة التي كتبها لك. الله تعالى يقول:

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر ٢١] .

*****

عَيْنٌ وَاحِدَةٌ

شاب تجاوز وزنه 300 كيلوغرام يقول عن نفسه:

"كنت أنظر إلى الطعام بعين واحدة فقط - عين المتعة اللحظية التي ترى لذة الأكل. لكني أغفلت العين الأخرى، عين البصيرة التي ترى العواقب وتنظر إلى المستقبل."

وماذا كانت نتيجة هذه النظرة الأحادية التى ركزت فقط على المتعة العاجلة وأهملت الرؤية الشاملة للأمر؟

تحول جسده إلى سجن من اللحم: زيادة مستمرة في الوزن. مستويات خطيرة من السكر والدهون في الدم. مظهر مشوه يؤثر على حياته الاجتماعية، والكثير من الآثار السلبية..

ولكن لماذا أصر على النظر بعين واحدة فقط؟

لأنه استسلم لنداء الغريزة ورفض صوت العقل، تلك النعمة التي ميزنا الله بها عن سائر المخلوقات. لو فتح عين البصيرة، لرأى صحته تتهاوى، ولأدرك العواقب التي تنتظره بعد زوال متعة اللقمة الواحدة. لكنه آثر أن يرى العالم بعين واحدة - عين الشهوة العمياء التي لا ترى إلا: متعة اللحظة العابرة. لذة الأكل والشرب. راحة الجسد المؤقتة.

إن إستسلامه تسبب له فى هزيمة ساحقة، لأنه مع كل وجبة زائدة: اشتدت قبضة الغريزة. ضعفت سلطة العقل. تقلصت مساحة الإرادة. حتى لو حاول أحد نصحه، فما الفائدة؟ عقله أصبح كطفل مشلول الإرادة. غرائزه تحولت إلى طاغية متوحش. إرادته صارت أسيرة لشهواته.

عين الغيب

هذا الشاب أغفل العين التي ترى الغيب، ولم ينظر إلى الدنيا إلا بالعين التي ترى الحاضر والمادة. الحاضر بالنسبة له كان لذة

الأكل، أما الغيب فكان الصحة، وهي الشرط الأساسي لحياة سعيدة.

ظل يغفل عن عين الغيب، حتى ضعف نورها ولم تعد ترى شيئًا. لم يعد يرى الصحة التي هي أهم مئات المرات من اللذة العابرة. صحته كانت تصرخ في وجهه، تؤلمه وتعذبه، لكنه لم يسمعها أو يعقل صوتها. وبينما كانت عين المادية تقوى، ماتت تماماً عين الغيب. الله تعالى يقول:

﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان ٤٤]

هذا البائس لن ينقذه إلا واحد: الله الذي يحيي الموتى. هو وحده القادر على أن يرد إليه نور عين الغيب التي أطفأتها الأيام.

أنزل الله سببًا في الدنيا ليطلب به الشفاء من الله: القرآن الكريم.

كلام الله هو الدواء الذي يحيي القلوب الميتة، ويعيد التوازن إلى الحياة. الله تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 57)

أوزان أخرى

نحن جميعاً نسير على خطى هذا الشاب، وإن اختلفت المظاهر.

فوزن المعاصي والذنوب أخطر من وزن اللحوم والشحوم. وإن كانت الشحوم تهلك الصحة، فإن معصية الله تهلك الحياة بأكملها.

لقد فقدنا عين الغيب التي كانت ترينا عواقب الأمور، واكتفينا بعين الشهوة التي لا ترى سوى اللذة العابرة.

عين الغيب هي التي نرى بها:

- إن موتًا عاجلًا ينتظرنا.

- إن مخلوقًا خبيثًا يعادينا ويبث سمومه في دمائنا.

- إن كل ما نعيشه هو أسئلة امتحان لا أكثر.

- إن الملائكة حولنا لا يسمعها إلا من يرى بعين الغيب.

- إن مصائب الدنيا هي جبالٌ من الحسنات تتراكم في موازيننا.

- إن كلام الله هو كنز الكنوز، ومفتاح الحياة الطيبة.

- إننا مملكون، وليس لنا من أمرنا شيء، إلا أن نسأل الله من فضله.

الله تعالى يقول:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك 2]

كلام الله شفاءٌ لنا من أمراض النفس والجسد التي تسبب فيها نظرتنا المادية الضيقة للحياة. الله تعالى يقول:

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا) (الإسراء: 82)

إستمع لكلام الله. هو القادر على أن ينزع المُلك عن عين المادية، ويحيي عين الغيب فيك، ويهبها ملكًا عظيمًا تستعيد به سيطرتك على حياتك. الله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}.

يعشق النار

يشعلها بيديه، ثم يمد كفه إلى ألسنتها المتوهجة، يبكي من الألم لكنه لا يتوقف. يكرر فعلته قبل أن تلتئم جراحه، كأنه أسير عذاب لا يملك الفكاك منه. جسده يصرخ، لكنه لا يصغي.

هل ترى هذا الرجل عاقلًا؟

هذا هو عقاب معصية اللّٰه. يزرع في قلب العاصي ولعًا بالنار، فينجذب إليها دون وعي، ولا يهدأ لك بال إلا حين تلسعه ألسنتها.

والآن، أمامه خياران: هل سيقاوم هذا الشوق المهلك، أم سيخضع له، فيتذوق مع كل مرة ألم الاحتراق؟

يعصي اللّٰه، فيملأ قلبه همًا وغمًا وضيقًا، لكنه لا يبالي. يظن أن الحياة هكذا، مجرد بؤس دائم. وبدلًا من أن يفيق، يزداد تعلقه بالمعصية، كمن يمد يده إلى النار بحثًا عن راحة وهمية، فلا يحصد إلا مزيدًا من الألم.

تتكرر الدائرة: معصية، شقاء، إدمان، احتراق. يحاول النجاة، لكنه لا يصغي لمن ينصحه، فيصبح أكثر تعلقًا بالنار، وأكثر غرقًا في العذاب.

وفي النهاية؟

الله هو العدل. سيمنحه ما سعي إليه، ما قاتل لأجله، ما أحبه بكل جوارحه... سيمنحه النار ليخلد فيها. الله تعالى يقول:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف 179]

النار هى: حب الدنيا

بعين الغيب ترى حب الدنيا هو النار التى خلقها الله لهذه الحياة. يبتلى الله بحبها من يعصيه. يعاقبه بأن يجعلها مُزينة فى عينيه،، فيحبها ويعشقها، وهنا تبدأ رحلته مع العذاب بعشق النار. الله تعالى يقول:

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة ٢١٢] .

ويقول أيضاً: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

[التوبة ٥٥] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(*الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ*) صحيح الترمذي.

ملعونة: مذمومة

وقال أيضاً: (*ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ*) صحيح ابن ماجه

*الحكمة :*الزهد ليس ترك المال، بل عدم التعلّق به.

وقال أيضاً:

(مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ) صحيح الترمذي

العبرة : من جعل الآخرة هدفه، شعر بالغنى الحقيقي.

*****

يَوْمِيَّات

هذه قصة حقيقية سمعتها منذ سنوات، ورغم أن التفاصيل لم تعد واضحة في ذهني، إلا أن أثرها بقي عميقًا في نفسي. تدور القصة حول رجل قرر أن يغير حياته جذريًا، بعد سنوات من المحاولات الفاشلة في إصلاح نفسه وواقعه.

كان يمتلك ورشة عمل صغيرة، لكنه شعر أن حياته تفتقد شيئًا أساسيًا، فقرر أن يغلق الورشة مؤقتًا، ويتفرغ لقراءة القرآن لمدة ثماني ساعات يوميًا. كان يؤمن بأن القرآن وحده قادر على إنقاذه، رغم عدم وجود دليل ملموس على ذلك. بدأ يسجل مشاعره وأفكاره كل ساعة أو ساعتين، ليتابع رحلته عن كثب.

لكن التجربة لم تدم طويلًا. بعد أحد عشر يومًا فقط، استسلم وأعلن فشله. شعر أنه ربما كان يهرب من ضغوط العمل

تحت ستار هذه الفكرة. قرر العودة إلى ورشته في اليوم التالي، مستسلمًا للكآبة التي لازمت حياته سنوات طويلة.

في المساء، بينما كان غارقًا في حزنه، خطرت له فكرة قراءة ما سجله خلال الأيام الماضية. أخذ أوراقه وذهب إلى مقهى قريب، وبدأ يتصفح يومياته.

كانت مكتوبة هكذا:

اليوم الأول:

- 8 صباحًا: "إن شاء الله حياتي ستتغير."

- بعد ساعة: "قرأت خمس دقائق فقط، وذهني مشتت."

- 11 صباحًا: "قرأت ساعة، لكنني تعبت من القراءة بصوت عالٍ."

- 2 ظهرًا: "أشعر بالضيق، قرأت ربع ساعة فقط خلال ثلاث ساعات."

- 4 عصرًا: "اليوم ضاع مني، سأذهب إلى المقهى لأقرأ."

استمرت التسجيلات بنفس النمط: تقلبات بين الحماس والإحباط، وساعات قليلة من القراءة الفعلية. شعر بخيبة أمل شديدة، وكاد أن يطوي الصفحات لولا أن خطرت له فكرة غريبة: "كم ساعة قضيت في القراءة حقًّا؟"

أخذ يحسب الساعات، فاكتشف أن متوسط قراءته اليومي لم يتجاوز ساعتين **ونصف**، بينما كان يتخيل أنه يقرأ لساعات طويلة! أصابه الذهول: كيف تفرغ من كل مشاغله، ومع ذلك لم يقرأ إلا القليل؟

ثم خطرت له فكرة أخرى: تحليل حالته النفسية خلال تلك الفترة. قام بترتيب مشاعره حسب الوقت، فاكتشف شيئًا صادمًا:

"رأيت الشيطان على الورق!" قالها بصراحة. لاحظ أن مشاعره كانت تتقلب فجأة من الانشراح إلى الكآبة دون سبب واضح، وكأن قوة خفية تدفعه للإحباط. كما لاحظ أن زوجته - التي كانت

داعمة له دائمًا - تحولت فجأة إلى شخصية معادية منذ اليوم الثاني، مما زاد من مشاكله وقلل من تركيزه.

أدرك حينها أن **الشيطان كان يحارب تمسكه بالقرآن،** لأنه يدرك خطورته عليه. هذا الاكتشاف أشعره بأمل جديد: إذا كان عدوه يبذل كل هذا الجهد لصده عن القرآن، فهذا يعني أن القرآن هو الحل الحقيقي!

أسرع إلى زوجته ليشاركها اكتشافه، ففوجئ بها تقول له: "لقد لاحظت تغيرًا كبيرًا فيك خلال الأيام الماضية! أصبحت أكثر هدوءًا وتفهمًا، والآن عرفت السبب: القرآن!"

النتيجة:

رغم أن التجربة استمرت 11 يومًا فقط، بمعدل ساعتين ونصف يوميًا، إلا أنها حققت له أمرين عظيمين:

1. أيقن أن الشيطان حقيقي، وأنه يعمل بجد لصرف الإنسان عن القرآن.

2. تحسنت علاقته بزوجته دون أن يبذل جهدًا مباشرًا لذلك.

في النهاية، أدرك أن القرآن لا يحتاج إلى انقطاع كامل، بل إلى إخلاص ومواجهة لتحديات النفس والشيطان. لقد وجد ضالته، ولم يعد ذلك الرجل الحزين الذي كانه من قبل.

نحن لا نشعر بحضور الشيطان في حياتنا لأننا لا نتصادم معه أبدًا. بل في الغالب، نكون -دون أن ندرك- في صفّه، ننفّذ مخطّطاته دون مقاومة أو حتى وعي بها.

لكن في قصة هذا الرجل، اضطُر الشيطان إلى الكشف عن حيله بشكل واضح، لأن صاحبنا اقترب من القرآن بشكل غير مسبوق. لقد أدرك الشيطان خطورة أن يتغلغل كلام اللّٰه في قلب هذا الإنسان، فشنّ هجومًا يائسًا، كأنه يحارب في معركة

مصيرية. كان يعرف جيدًا ما الذي سيحدث لو استقر القرآن في ذلك القلب، فحاول بكل قوّة أن يقطعه عنه.

لولا أن اللّٰه وفّق الرجل لتسجيل تفاصيل رحلته، لنجح الشيطان في إقناعه بأنه فاشل، وأنه يهرب من مسؤولياته. ظلّ يغرقه بوابل من الأفكار السلبية التي كادت أن تثنيه عن الاستمرار. لكن التسجيل الذى (وفقه اللّٰه إليه) كشف الخدعة، وأظهر حرب الشيطان الخفية.

درسٌ عظيم:

الصعوبة التي تواجهها في تدبّر آية واحدة من القرآن ليست ضعفًا فيك، بل هي دليل على عظمة القرآن من جهة، وعلى قوة سلطان الشيطان عليك من جهة أخرى.

وقد لاحظ الرجل بعد تجربته ملاحظة ثمينة، وهي أن الوقت الذي يقضيه في قراءة القرآن لا يُخصَم من عمره، بل يعوّضه

الله ببركة مضاعفة. فالأيام التي قضاها في مجاهدة نفسه للالتزام بالقرآن عادت عليه بخير استمرّ معه سنوات طويلة.

الله تعالى يقول:

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأنعام 155].

عندما تنفق وقتك في قراءة القرآن، فإن الله يعوّضك ببركة تجعل الوقت كله في صالحك. كأنك توقف الزمن مؤقتًا، فتأخذ من الكنوز الإلهية ما يشبع روحك، ثم تعود إلى حياتك أكثر قوةً واتزانًا، دون أن تخسر دقيقةً واحدة. فالوقت الذي يُقضَى مع القرآن ليس ضائعًا أبدًا، بل هو استثمارٌ حقيقي في الدنيا والآخرة.

*****

اللَّطِيفُ

التغيير الهادئ في الكون

كل شيء حولنا في هذه الدنيا يتغير بلطف. الطفل الرضيع يكبر ليصبح ولدًا صغيرًا دون أن نشعر بمرور الوقت. وفصول السنة تتعاقب بسلاسة، فلا ننزعج من انتقال الطقس من حرارة الصيف إلى برودة الشتاء.

هكذا أيضًا سيغيرك كلام الله.

الله اللطيف بعباده، سيحولك إلى إنسان آخر، نسخة أفضل منك تحمل نفس ملامحك، لكنها أكثر نقاءً وحيوية.

يوماً بعد يوم، ستجد أن عقد الطفولة التي تشكلت فيك رغم حرص والديك على تربيتك، تبدأ في الانحلال برفق. وما غرسه المجتمع فيك من أفكار متخبطة سيُقتلع من جذوره بهدوء. قراراتك الخاطئة وتبعاتها ستُرمم دون أن تشعر بأي إزعاج.

حتى العقد النفسية التي كونتها من تجاربك الفاشلة ستبدأ في الانحلال دون أن تبذل جهدًا أو تدرك ذلك.

أنت الآن في مرحلة الشفاء، تُعالج بأرقى دواء في الوجود. رغم أنك أهملت علاج نفسك طويلًا، إلا أن كلام اللّٰه لا يمنعه شيء عن شفائك.

بعث الأحلام من جديد

الأحلام التي دفنتها تحت قسوة الظروف، سيبعث اللّٰه فيها الروح من جديد، لتحيا بها كما كنت تحلم. روح الطفل الذي كان يحب الدنيا بكل براءتها ستعود إليك، وسيبدأ صدرك بالاتساع ليستوعب الحياة وما فيها. مخاوفك ستتبدد كما تتبدد ظلمة الليل رويدًا رويدًا.

أنت الآن نسخة أكثر نضارة وحيوية من نفسك التي كانت على سرير الموت، تتألم دون أن تحيا أو تموت.

السكينة والهدوء: تحول المشاعر

بلطف ورحمة، سيسيطر الهدوء والسكينة على مشهد حياتك. تدريجيًا، ستتبدد مخاوفك. خوفك من المستقبل سيختفي، وخوفك من الناس ومن رأيهم فيك سيتركك. حتى أحزانك ستأخذ في التلاشي، تصغر وتصغر حتى تصبح نقطة صغيرة تراها من بعيد.

كأنك كنت كتلة سوداء مظلمة، ومع الأيام ستتلاشى تلك العتمة تدريجيًا، حتى يصير لونك ناصع البياض، مشرقًا كنور الفجر، صافياً كضحكة طفل.

رائحة الأمل

تلك الرائحة المزعجة التي كنت تشمها من الدنيا، والتي ضاق صدرك بسببها، واعتدت عليها حتى أصبحت جزءًا منك، ستتلاشى تدريجيًا. وبدلًا منها، ستبدأ في شم رائحة الورود والأزهار وأجمل العطور، التي ستشرح صدرك دون أن تدري.

ستدرك أنك تغيرت حين تواجه موقفًا كان في السابق يمزق صدرك حزنًا، لكنك هذه المرة ستجده بلا أثر في داخلك. ستدرك أن قلبك وعقلك وجوارحك قد أعيدت برمجتها على نهج جديد تمامًا، وأن مشاعر لم تعهدها من قبل، حتى في لحظات الفرح، صارت الآن هي المسيطرة عليك. وهنا ستعلم أنك أصبحت إنسانًا أفضل.

الدنيا تحت قدميك

لم تعد الدنيا تحتل قلبك، فلم تعد همومها تُثقل كاهلك كما كانت من قبل.

أصبحتْ الدنيا كلها تحت قدميك، فصرتَ أعلى منها، لا هي الأعلى عليك.

تبتعد عنها بسهولة إذا قدر الله لك أن تصيبك منها شوكة تكفر بها عن ذنوبك.

ذلك الجدار العظيم الذي بنيته حول نفسك بعد تجاربك المؤلمة وخيباتك المتكررة، سيهدمه الله لك حجرًا حجرًا، دون أن يزعجك أو يخيفك، ليعود إليك نور الحرية من جديد.

العلاقات: عودة الحب والتفاهم

حتى شريك حياتك الذي تحول إلى سجان، بسبب أذيتك له دون أن تدرك، سيرقق الله قلبه عليك يومًا بعد يوم، حتى يعود حبيبك الذي رفعت يدك لله بالدعاء يومًا تتضرع إليه أن يجعله من نصيبك.

مثلما ينمو النبات ببطء، ستنمو سيطرتك على نفسك، لتصبح هي طوع إرادتك، لا العكس. ستجد نفسك تفعل ما تشاء بإرادة حقيقية، لا تحت سيطرة العادة أو الهوى. تدريجيًا، ستصبح قائد حياتك، لا تابعًا لمتغيراتها. ستأمُر نفسك بالصبر فتستجيب، وتأمرها بالرضا فترضى، وستحب هي وتكره وفق ما تمليه عليك بصيرتك.

رؤية الغيب: نور الإيمان

حينها ستفتح عينيك لترى الغيب، كما تتفتح عينا الرضيع شيئًا فشيئًا. سترى في البداية نورًا أبيض، ثم تتضح لك ملامح الأشياء تدريجيًا، حتى يصبح الغيب بالنسبة لك حقيقة جلية، كأنك تراه بعينيك. الله تعالى يقول:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 7]

من شدة تأثير القرآن على القلوب، وصفه المعاندون له بالسحر. فكيف لقلبٍ يؤمن به ويتدبره ألا يتغير؟

*****

المَيْدَانُ

وقفْتُ بين يديه. بين يدي رب العالمين. منتظراً أن يكلمنى.

لم تكن وقفة الجسد وحده، بل وقفة الروح كلها. الكون من حولي توقف، والصمت كان ثقيلاً لدرجة أنني سمعتُ دقات قلبي تُصدع ذلك السكون. ثم بدأ الكلام...

لكنه لم يتكلم، ولكن **أقسم**.

انتفضتُ من داخلي. اللّٰه لا يحتاج أن يقسم، كلمته حق مطلقة. فلماذا يقسم؟ لماذا يؤكد بهذه الطريقة؟ لا بد أن ما سيقوله هو أعظم مما أتخيل.

ثم...

أقسم مرة أخرى.

ارتعدتْ قدماي. ما هذا الشيء العظيم الذي يستحق أن يقسم اللّٰه عليه مرتين ؟

شعرتُ بثقل في الهواء، كأن السماء بأكملها تنحني لتسمع.

ثالثة... **يقسم**.

الأرض تحت قدمي اهتزت. حتى الملائكة على صوتها بالتسبيح. كل شيء في الوجود ينتظر بلهفة ذلك الأمر الذي يستحق كل هذا التأكيد.

أقسم للمرة الرابعة...

سقطتُ على ركبتيَّ. لم أعد أتحمل.

الخامسة...

تبدد لون وجهي. أصبحتُ كالشفاف.

السادسة...

توقف الهواء في صدري.

السابعة...

تجمد الدم في عروقي.

الثامنة...

توقف الزمن نفسه.

التاسعة...

سكتت الشياطين، حتى وسوستها توقفت.

العاشرة...

انشقَّت السماوات، وكادت الجبال تتدكدك من الخوف.

الحادية عشرة...

ظننتُ أن الساعة قد قامت.

في كل قسم، كان يقسم بشيء لو اختفى لانهار الكون: الشمس، القمر، الليل، النهار، السماء ببنائها، الأرض بمدها، والنفس البشرية بتسويتها.

ثم جاءت الكلمة التي استحقت كل هذا:

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"

نفسك.

هي ميدان المعركة.

هي الجنة أو النار.

هي الشيء الوحيد الذي استحق أحد عشر قسمًا من اللّٰه.

يوماً بعد يوم من قراءة القرآن وتدبره، سينموا فى قلبك يقين وإيمان بحقيقة أهمية تزكية نفسك، كما لوكنت وقفت هذه الوقفة على الحقيقة بين يدي اللّٰه رب العالمين.

هل بعد هذه الوقفة، وبعد كل ماسمعته من قسم،

وبعد مارأيته من حالك وقتها، وحال السموات والارض ومن فيهن، هل يمكن أن تعود إلى الدنيا كما كنت؟

مستحيل،

لم تعد ترى فى الحياة هدفاً إلا تزكية نفسك،

ولم يعد لك هم إلا البحث عن الأسباب التى تعينك على تحقيق هذا النجاح المطلوب، والذى أقسم لك ربك عليه كل هذا.

ستعود من هذه الوقفة إنسان أخر تماماً، وكأنه تم إستبدالك حرفياً من الداخل بإنسان أخر جديد.

اللّٰه تعالى يقول:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا (1) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (2) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (3) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا (4) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (5) وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا (6) وَنَفۡس وَمَا سَوَّىٰهَا (7) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (8) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (9) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس]

قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح. (تفسير السعدي) .

لقد عدت من تلك الوقفة ترى كل الأمور بشكل مختلف تماماً.

الإبتلاءات التى كانت تؤرقك وتنكد عليك عيشك، أصبحت تراها ماهى إلا هدايا من الرحمن، فهو يعطيك بالإبتلاء فرصة لتتزكى، اصبحت ترى الإبتلاء فرصة للنجاح الذى أقسم الله عليه.

كل ما عليك هو أن تصبر و تشكر. والله تكفل لك بتصميم الإبتلاء وإعداده بحيث يناسبك ويكون فى وسعك وأن لايحملك مالاطاقة لك به. فتخرج من الإبتلاء نسخة جديد منك أرقى وأكثر طهراً ونقاءً وأعلى منزلة عند الله.

إن الصبر على الابتلاء من أعظم أسباب تزكية النفس. فهو يُطهِّر القلب من الشوائب، ويرفع الدرجات، ويُقرِّب العبد من ربه. وكما الله تعالى يقول: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" (الزمر: 10).

كيف يُزكِّي الصبرُ النفس؟

يُخلِّصها من الأنانية والغرور

- الابتلاء يذكِّر الإنسان بضعفه، فيتخلص من العُجب والاعتماد على نفسه، ويلجأ إلى الله.

يُنمِّي الفضائل

- الصبر يُعزِّز القوة الداخلية، ويُعلِّم التوكل، والرضا، والثبات على الحق حتى في أحلك الظروف.

يُطهِّر من الذنوب

- كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما يُصيب المؤمن من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ حتى الهمّ يُهمّه إلا كفَّر الله به من خطاياه" (متفق عليه).

يربط القلب بالله

- المحنة توقظ الروح، وتجعل العبد يدرك أن كل شيء بقدر الله، فيزداد إيمانه ويُصلح نيَّته.

يُحقِّق معنى العبودية الحقيقية

- الصبر اختبار للإخلاص: هل ستثبت على طاعة الله حين تنقطع الحلول الأرضية؟

هل أنت متخيل أنك أصبحت لاتتخيل الحياة من غير إبتلاءات ؟!!

فمعنى أنك تمضى فى الحياة بلا إبتلاءات، هو أنك لن تتزكى،

وهذا ليس له معنى إلا أنك الخسران الذى أقسم الله على خسرانه.

وهذا يفسر لك لماذا الذين يحبهم الله يكونون الأكثر بلاءً.

لأنه لما أحبهم أراد أن يطهرهم ويزكيهم أكثر وأكثر. فصمم لهم إبتلاءات هو يعلم أنهم قادرون عليها، يريد بهم الخير.

كما فعل مع سيدنا إبراهيم. الله يعلم أنه لن يتردد فى ذبح إبنه إسماعيل. فأعطاه هذه الهبة العظمى . وهو إبتلاءه بذبح إبنه.

لينجح فيه سيدنا إبراهيم. فيفوز بتزكية عظيمة جديدة لنفسه. حتى أن نفسه إرتقت لأن يحبها الله .ويصفه بخليل الرحمن.

المشاكل المادية التى كانت تبدو مستعصية ولا تحمل إلا الألم: ألم الفقر، ألم الحرمان من الزواج، ألم الذل بسبب الدين، وألم الأب العاجز عن توفير احتياجات أسرته. الأن لم تعد تراها كذلك. أصبحت تراها فًرصاً يعطيها الله لك لتنجح فى تزكية نفسك بصبرك عليها. الله تعالى يقول:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]

أدركت وآمنت أن الله غني عن تعذيبك بنقص المال، ولكنه يريد أن يرى منك تصرفًا يرضيه عنك. ما هو هذا التصرف؟ أن تصبر. فيزكى لك نفسك جزاءً على صبرك.

إن هذه الرؤية الجديدة لإبتلاءات الحياة لها عشرات الآثار، فمثلاً على سبيل المثال: ستجد نفسك تتغير من شخص

يشعر في قرارة نفسه بأنه مستقل ويفعل ما يشاء، إلى شخص يدرك أنه مملوك لله، وأن ربه يبتليه ليطهره من المعايب والآثام، لأنه رب رحيم يريد منه نسخة أفضل.

ستقول: "أنا مملوك لله، يفعل بي ما يشاء." الله تعالى يقول: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:155]

وهذا الشعور فى الحقيقة يعينك به الله على الصبر أكثر وأكثر.

تأمل معي: كيف سيعاملك الله وأنت ترى نفسك مملوكًا لنفسك، متنكرًا لنعمته عليك في الإيجاد والرزق؟ وكيف سيعاملك عندما ترى نفسك عبدًا لله، مدركًا أن كل ما أنت فيه من فضله، وليس لك الحق أن تتصرف في نفسك إلا بما يريده مالكك الذي خلقك؟ عندها سينعم عليك برضاه، فترى أثر ذلك في نفسك وفي كل تفاصيل حياتك.

ستتغير نظرتك للدنيا أيضًا. من كونك تشعر أنها وطنك الطبيعي، إلى أنك ضيف فيها، وأنك إلى الله راجع، وأن هذا

الرجوع سيحدث بسرعة مذهلة، حتى أنك ستشعر وكأنك قضيت في الدنيا يومًا أو بعض يوم. وهذا أيضاً شعور سيرزقك الله به ليعينك على الصبر على مايبتليك به ليزكيك . الله تعالى يقول:

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾

[المؤمنون: 113]

لن تبذل أي جهداً لترى الدنيا هكذا، تمامًا كما لا تبذل جهدًا الآن لتفكر بالطريقة التي تفكر بها. ستتغير أنت نفسك، بل سيتم استبدالك تمامًا. وكل هذا ثمرة تمسكك بكلام الله. الله تعالى يقول:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [محمد: 14]

كان من دعاء النبى صلى اللّٰه عليه وسلم:

(اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها) (مسلم)

*****

غُرُفَاتٍ

أنت هنا فقط ليتم نقلك من غرفة اختبار إلى غرفة أخرى وهكذا، حيث يتم تقييمك بناءً على أدائك. الله تعالى يقول:

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ووفقًا للنتائج، إما يتم معالجتك وإصلاحك، أو يتم إهمالك وتركك. الله تعالى يقول:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وإذا وفقك الله للهدى، فسيتم اختبارك مرة أخرى، وبناءً على أدائك، ستتم معالجتك أو إهمالك. وهكذا تستمر حتى آخر لحظة في حياتك. الله تعالى يقول:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

ويقول أيضًا: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

غرفة المرض

يأخذك الله بقضائه وقدره إلى غرفة المرض، حيث يتم قياس أدائك مع المرض. كل كلمة تقولها، وكل حركة تقوم بها، وكل نظرة تنظرها، يتم تسجيلها وتحليلها. بناءً على ذلك، يتم معالجتك وإعدادك لاختبار جديد يقيس فيك شيئًا جديدًا، استعدادًا لتأهيلك. وهكذا تخرج من كل موقف إما بنسخة أفضل منك، أو نسخة أسوأ. الله تعالى يقول:

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الأداء المطلوب

- المطلوب أن يكون تعاملك وتفكيرك مرآةً صادقة لعُبديتك لله. فلا يَرَى منك ربك ولا يسمع إلا ما يُرضيه، حتى في خضم هذا البلاء.

اللّه تعالى يقول:

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

- لا تجعل همَّك هو التخلص من المرض فقط. اللّه تعالى يقول:
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

- إن يقينك بأن هذا المرض لم يأتِ عشوائياً، بل هو قدر اللّه وحكمته، يجعلك تتقبله بصبرٍ طالباً الأجر، لا بيأسٍ مستسلم.

- اللّه تعالى يقول: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾ [هود: ٩].

- لأنك تعلم أن الله هو الشافي المجيب، فإنك تلجأ إليه بالدعاء طالباً الشفاء والرحمة، واثقاً في كرمه، عالماً أن هذا المرض ما هو إلا اختبار إلهي.

الله تعالى يقول:

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ *كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾. [الفجر: 15]

- وعلمك أن المصائب تُجتلب بالذنوب، يدفعك لاستغفارٍ صادق، لا لتزول العلة عن جسدك فقط، بل لترفع الذنب من صحيفتك.
- الله تعالى يقول: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وتذكر أن هذا المرض نذير رحيم قبل أن يكون عقاباً أليماً. الله تعالى يقول: (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [السجدة:21].

وأنه لولا هذا المرض، ما انتبهت لتلك الذنوب، فسارعت بالاستغفار منها وطلبت أن يعينك الله على التوبة عنها. الله تعالى يقول:

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩].

ويقول أيضًا: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٧].

غرفة الصحة

تخرج من غرفة المرض إلى غرفة الصحة، ويتم مرة أخرى تسجيل أدائك فيها. الله تعالى يقول:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

أنت تعلم أنك لم تدخل هذه الغرفة لتلهو وتفرح بالصحة التي أتتك، بل أنت الآن تحت المراقبة المشددة والعناية الفائقة. يتم تقييم أدائك، واستيعابك للدروس التي عشتها، وللقرآن الذي تلوتَه. بناءً على ذلك، يتم تجهيزك لمرحلة تالية. الله تعالى يقول:

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِى ٱلۡـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

غرفة المشاكل والأزمات

تخرج من غرفة الصحة إلى غرفة أخرى مليئة بالمشاكل الزوجية وضغوط العمل والأزمات النفسية مثل الاكتئاب والإحباط. ويتم تقييم أدائك:

- هل أنت حقاً مؤمن أن الأمر لا علاقة له برضى الله عنك أو سخطه عليك.
- هل أنت حقاً واثقاً من كونك في العناية الإلهية، وأنه يتم إنتاج نسخة أفضل منك: أكثر صبرًا، وأكثر حبًا لله، وأكثر صدقًا وخيرًا.

- هل أنت شاكر لله وممتن لأنه يجعلك مؤهلاً لدخول جنته والعيش مع الأنبياء والأصفياء؟ الله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

غرفة الصعب والمستحيل

تخرج من غرفة المشاكل والأزمات إلى غرفة الصعب والمستحيل.

هنا يخلق الله في قلبك تعلقًا بشيء ما ورغبة في تحقيقه.

ثم يجعل طريقه مستحيلًا عليك.

ويتم تقييم أدائك :

- هل أنت مؤمن بحق أنه على كل شيء قدير؟

- هل ستهزمك الأسباب المستحيلة، أم أنك بكل ثقة ويقين سترفع يديك إلى مالك الملك تطلبها منه؟ اللّٰه تعالى يقول:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

- ماذا لو لم ترَ الاستجابة عاجلًا؟
- ماذا لو تفضل اللّٰه باستجابة دعائك وتحقيق أمنيتك؟
- هل ما تريده وترغب فيه هو أحب إليك من اللّٰه؟

اللّٰه تعالى يقول:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

كلام اللّٰه يعينك

سيعينك اللّه بكلامه على أن ترى حقيقة الأمور حولك، فيكون تصرفك ناتجًا عن وعي، وتكون رؤيتك للأمور أكثر حكمة وتوفيقًا. اللّه تعالى يقول:

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

سيعينك على أن تترقى من كونك صابرًا على ما تواجهه من ابتلاءات، إلى أن تكون راضيًا عنها، متفهما لضرورتها، ثم سيأخذك إلى ما هو أعلى من ذلك: أن تشكر اللّه على ابتلاءاته لك، بعد أن زاد يقينك برحمته وكرمه وحبه لك. اللّه تعالى يقول:

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة ١١٩].

الطريق إلى الجنة

يأخذك الله إلى الجنة بلطفه وبرحمته وبحكمته. المطلوب منك فقط أن تسمع وتعقل. الله تعالى يقول:

﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]

ويقول أيضًا: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ ٤٠] .

.

*****

الهَوَى

حياة (ك): محور الكون

تأمل شخصًا جعل (ك) محور حياته. يومه كله يدور حول إرضاء (ك) ورغباتها، يحب ويكره تبعًا لهواها، يفرح لفرحها ويحزن لحزنها. (ك) هي شغله الشاغل، يتألم لعدم تلبية مطالبها، ويحب الله بقدر ما يحقق لها مرادها، وقد ينصرف عنه إذا لم يتحقق ما تتمناه.

أقل شعور بالملل أو الانزعاج يصيب (ك) يقلقه بشدة، ويسعى جاهدًا لإزالة أي شيء يزعجها، ولو بالغضب على أقرب الناس. لا يتحرك هذا الشخص إلا بأمر (ك)، هي الآمرة الناهية، لها الولاء والطاعة المطلقة. يهتم بعمله وعائلته وحتى صلاته إذا وافقت (ك) على ذلك أو كان لديها مصلحة.

قلق (ك) على المستقبل وهمومها تسبب له الأرق، خوفًا من عدم القدرة على تلبية رغباتها. حياته كآبة مستمرة، يقضي وقته مهمومًا بها، متألمًا لآلامها، ويسعى دائمًا لطمأنينتها.

عبادة الهوى: الحقيقة المرة

نتيجة أكيدة لا شك فيها سنصل إليها بتأملنا في حياة صاحبنا هذا:

حياته كلها يقضيها سعيًا في محاولة إرضاء (ك) التى هى نفسه. وهذا لا يعكس إلا صدق حبه لها، وصدق خوفه منها.

هل يعرف صاحبنا هذا معنى كلمة "عبادة"؟ أو ماذا يعني أن تعبد شيئًا؟

معناها: أن تفعل لهذا الشيء كل ما يحبه ويرضاه. إن صاحبنا فعل كل ما تحبه (ك) وترضاه، وليس كل ما يحبه اللّٰه ويرضاه. قضى صاحبنا حياته طالبًا لرضا (ك)، خائفًا من سخطها عليه. إن صاحبنا هذا كان يعبد -هواه - هوى نفسه دون أن يدري.

إن سألت صاحبنا: "من تحب؟" سيقول لك بكل ثقة: "أحب اللّٰه طبعًا!"

إسأله إذن: كم من الوقت في يومك تكون مهمومًا بتحقيق ما يحبه اللّٰه ويرضاه؟ وكم من اليوم تكون مهمومًا بتحقيق رغبات (ك)؟

إن (ك) - التي هي نفسه - شيء بلا عقل، فهي رغباته وغرائزه التي يختبره اللّٰه بها. أما هو، فهو العقل لها والحاكم عليها. هو الذي يعقل الأمور ويزنها، وهو الذي عنده الإرادة والقدرة، وهو الذي يطلب المدد من اللّٰه ليعينه عليها.

اللّٰه تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]

أي أن اللّٰه خلقه لكي يكون شغله الشاغل في الحياة هو فعل ما يحبه اللّٰه ويرضاه. ولكن صاحبنا قضى حياته وشغله الشاغل هو فعل ما تحبه (ك) وترضاه. إن صاحبنا هذا عبد هوى نفسه دون أن يدري.

الضلالة: نتيجة اتباع الهوى

الله تعالى يقول:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23]

أضل الله صاحبنا، فمن يهديه من بعد الله؟!

ولكن لماذا أضله الله؟ الله تعالى يقول:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 50]

حكم الله على صاحبنا هذا بالضلالة لأنه ظالم، ظلم نفسه باتباعها واتباع هواها.

لأنه آتاه الله الهدى فتركه،

آتاه الله القرآن فغفل عنه ونسيه، واختار أن يلهو ويلعب عن أن يسمع لكلام ربه الهادي. الله تعالى يقول:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

[البقرة: 2]

أتى الله بوحيه وآياته لصاحبنا فهرب منه. الله تعالى يقول:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175]

الشيطان: العدو الخفي

وهل اتبع الشيطان صاحبنا حقًّا؟ أين هو؟

إن مصيبة صاحبنا أعقد وأكبر مما يتصور. إن (ك) التي يحبها ويعشقها، ولا يرضى لها أي ألم أو مشقة، تخونه. إنها تخونه مع أكثر عدو له في الوجود، مع الشيطان نفسه. وبينما هو يسعى في هواها، هي تخونه.

ذلك المسكين لا يدري أن (ك) تأمره بما يأمرها به الشيطان.

الشيطان يزين لـ(ك) الشيء، فتحبه (ك)، ثم تأمر به صاحبنا، والذي لا يرد إلا سمعًا وطاعة لحبيبته (ك).

إن مأساة صاحبنا الحقيقية أنه في الحقيقة يقضي حياته في تلبية رغبات من هو خلف (ك)، وهو الشيطان.

إن صاحبنا لم يتخذ نفسه وهواها وليًّا، بل اتخذ الشيطان نفسه وليًّا، ودون أن يدري أو يشعر، يقضي حياته في تلبية رغبات عدوه المبين. اللّٰه تعالى يقول:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27]

الطاغوت: العبادة الخفية

ذلك المسكين الساذج يظن أنه ينفذ الأوامر التي تأمره بها نفسه.

يظن أن الأمر سينتهي عند عبادة هواه فقط.

ولكن لا يدري أن الشيطان تبعه،

وأصبح في الحقيقة يعبد الطاغوت،

يعبد الشيطان الواقف متخفيًا وراء نفسه.

والأوامر التي يظنها أوامر بسيطة لا تؤذي،

هي في الحقيقة تدبير شيطاني يأخذه خطوة بخطوة إلى هلاكه، بخطة جهنمية محكمة، هدفها الوحيد أن يلقيه الله معه في جهنم.

إن صاحبنا هذا هو الذي ترك سلاحه،

هو الذي خرج من حصنه،

نزع عنه دروعه وألقى سلاحه، وخرج إلى عدوه بمحض إرادته،

ملقياً نفسه بإرادته في حضن عدوه.

هو لم يجتنب الطاغوت بل ألقى بنفسه في أحضانه. الله تعالى يقول:

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36]

لتبدأ مأساة صاحبنا التي لن تنتهي إلا بالمأساة العظمى، وهي جهنم.

فمصيبة صاحبنا لن تنتهي باتباع الشيطان له، بل إنها البداية فقط.

وذلك لأن الشيطان درس (ك) وعلمها جيدًا، وعلم طبيعتها.

فطبيعة (ك) أنها لا تصدق ولا ترغب إلا فيما يمكنها أن تراه وتلمسه.

إن (ك) لا تريد إلا الحياة الدنيا، والشيطان يعلم هذا جيدًا،

وكصديق مخلص لها، سيزين دائمًا الحياة الدنيا، لتزيد هي حبًّا فيها ورغبة، وتسلطًا على صاحبنا المسكين. الله تعالى يقول:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: 39]

إن (ك) لا تريد إلا المال،

هذه رغبتها ورغبة الشيطان من وراءها.

وبما أنها تحب المال، إذن صاحبنا المطيع العاشق لـ(ك)، عليه أن يقضي حياته كلها في تجميع المال طلبًا لرضاها.

وهنا يأتي الشيطان الخبيث،

فيجعل (ك) تعظم المال بتزيين أثره على سعادتها، وبأن يوهمها بأنه سيحقق لها المستحيل.

وصاحبنا بكل ذل وعبودية لـ(ك) يعظم هو أيضًا ما تعظمه هي، فلا يكون في قلبه ما هو أعظم وأحب من المال. الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]

ويخوف الشيطان (ك) بأنها ستجوع بلا مال،

فتصرخ هي في وجه صاحبنا تأمره بجمع المال لها لتطمئن،

فيهرع بجزع باكيًا، يجرى حائرًا يمينًا ويسارًا لا يدري ماذا يفعل، ولا من أين يأتي لها بالمال.

وبذلك يكون الشيطان قد حقق نجاحًا جديدًا.

فبعد أن جعل صاحبنا يعبد هواه،

جعله الآن يعبد المال.

فقد جعل (ك) تعظمه، وتحبه، وتخاف أن ينقص أو يضيع، وتطمع أن يبقى ويزيد. وصاحبنا تابع مخلص لكل ما تعتقد فيه (ك).

جعلها الشيطان تصدق أن المال هو الذي يطعمها، ويسقيها، ويشفيها، ويزوجها، وهو الذي يعزها ويذلها بين الناس، وهو الذي يخفضها ويرفعها في الدنيا. وصاحبنا تابع مخلص، مصدق بكل ما تقوله (ك).

إن صاحبنا باتباعه لكل ما تحبه نفسه وتهواه، هو يفعل كل ما يحبه الشيطان ويهواه. إن صاحبنا يعبد الشيطان دون أن يدري. الله تعالى يقول:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ

لِيَۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّى كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾
[إبراهيم: 22]

هل سيترك الشيطان صاحبنا عند هذا الحد؟

لا، سيأخذه لعبادة الدنيا معها.

فبعد أن دنس صاحبنا نفسه (ك)، بعد أن دنسها بالشرك الخفي بالله، أصبحت أمارة بالسوء، وبالتالي أصبحت هي والشيطان أحبابًا.

الشيطان يدعوها لما يريده، وهي تقود صاحبنا خلفها. ولو لم يستمع لها، تؤلمه بالحزن والخوف والقلق والندم والكسل والعجز.

فهو الآن إما أن يأتي لها بالدنيا كلها وبكل حذافيرها، وإلا الكآبة والألم.

هي تريد النوم والنجاح، واللذة والمتعة والصحة، وإعجاب الناس والفخر والسلطة والمال.

هي تريد كل ما يمكن وما لا يمكن تخيله.

وهي لا تريد ذلك بأدب، بل تصرخ فيه وتؤلمه وتعذبه بهذه الأماني.

يمضي في الدنيا يبكي ويتألم لأنه ليس معه منها شيء.

لم يعد في قلبه إلا حب الحياة وجمالها، والطمع في رضاها عليه، والخوف من إعراضها عنه.

وبذلك تكون نجحت خطة الشيطان في أن يملأ قلبه وعقله بالدنيا، فلا يكون فى قلبه مكان لأي شيء آخر يخص آخرته أو عباداته. الله تعالى يقول:

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19]

أصبح عابدًا للدنيا، زاهدًا في آخرته، ناسيًا موته الأكيد. الله تعالى يقول:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51]

والعجيب أنك لن تراه إلا يظن نفسه مؤمنًا عابدًا لله. الله تعالى يقول:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] .

ويقول أيضًا: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 130] .

*****

سِرٌّ

ارتدى صاحبنا الخاتم، خاتم سليمان، ومشى به بين الناس، يتأمل أيديهم بتمعن، يبحث عن شخصٍ آخر يرتدى مثله ذلك الخاتم العجيب. لكنه لم يجد. كيف لهذا أن يحدث؟ لأول مرة أدرك كم هو محظوظ لكونه منتبهاً لهذا الأمر.

أيامٌ طويلة قضاها يسير في الشوارع، يدخل الأسواق، وكل همه أن يرى شخصاً واحداً يرتدى الخاتم. لكن كل الأيادى كانت خالية، لا أثر للخاتم فيها. بدأ يصلى في المسجد، متوقعاً أن يرى المصلين جميعاً يرتدون الخاتم. لكن المفاجأة كانت قاسية؛ لا أحد يرتديه إلا قليل. يوماً بعد يوم، كان يجلس في المسجد، يحدق في أيدى المصلين أثناء الصلاة، لكن النتيجة كانت نفسها: قليل جداً هم من يرتدون الخاتم.

شاب يرتدي الخاتم

قرر أن يغير خطته، فبدأ يصلى الفجر في مسجد كبير، عسى أن يجد هناك من يرتدى الخاتم ويتخذه صاحباً. وبعد أيامٍ من الانتظار والبحث، رأى أخيراً شاباً في أواخر الثلاثينيات من عمره يرتدى الخاتم. شعورٌ غريب انتابه، كأنه وجد كنزاً ثميناً. انتظر خارج المسجد بعد الصلاة، ووقف مرفوع اليد، يلمح للشاب بالخاتم يريد أن يلفت إنتباهه. لكن الشاب خرج من المسجد، عيناه مثبتتان على الأرض، يهمهم بدعاء الخروج من المسجد، ثم أخذ يتمتم بذكر الله، دون أن يلتفت لأحد.

لم يجد صاحبنا بُداً من أن يقطع الطريق على الشاب، الذي نظر إليه مبتسماً بود. قال صاحبنا بحماسة: "أراك ترتدى نفس الخاتم! أراك ترتدى خاتم سليمان!" عندها فقط لاحظ الشاب الخاتم في يد صاحبنا، فابتسم وقال: "نعم، الحمد لله، هدانى الله له ووفقنى أن ألبسه." رد صاحبنا: "وأنا والله مثلك!" تصافح الرجلان، وظل صاحبنا ممسكاً بيد الشاب، ينظر في عينيه بلهفة وسأله: "منذ متى وأنت ترتدى الخاتم؟"

تنهد الشاب بحزن: "منذ سنين طويلة وأنا أعرف قدر الخاتم، لكن الحياة تأخذني وأنساه أحياناً."

النصيحة للآخرين

اندهش صاحبنا: "كيف تنسى الخاتم وأنت تعرف قدره؟ أنا لا أستطيع أن أخلعه عن يدى أبداً، لقد عاهدت الله على هذا."

ابتسم الشاب وقال: "وفقك الله لأن ترتديه دائماً." ثم أضاف بنبرة حكيمة: "أقول لك سراً يجعل الخاتم لا يفارقك أبداً بإذن الله."

رد صاحبنا متلهفاً: "طبعاً، ما هو؟"

قال الشاب: "أن تنصح غيرك بارتدائه. أنا انتظمت في الفترة الأخيرة في لبسه عندما أدركت هذه الحقيقة. كان يجب ألا تقف هذه الحقيقة عندى، بل أسعى لأن يعلمها الجميع."

أومأ صاحبنا موافقاً وقال بحزن وهم: "أنا لا أكاد أرى أحداً يرتدى الخاتم أبداً."

أكمل الشاب: "نعم، للأسف. أقصى ما يفعله من حولنا هو أن يضعوه في جيوبهم أو في سلسلة مفاتيحهم."

صُدم صاحبنا: "وهل يستفيدون منه هكذا؟"

رد الشاب: "بالطبع، فهم يعطونه قدراً من الأهمية ويحتفظون به، لكنهم لم يقدرونه حق قدره. يؤمنون به، لكن ليس الإيمان الذي يدفعهم لأن يكون جزءاً منهم."

قال صاحبنا: "تقصد أن كثيراً ممن رأيتهم يقدرون الخاتم ولكن لايلبسونه."

أكمل الشاب: "نعم، يقدرونه ولكن ليس بالقدر الكافي الذي يغير حياتهم تماماً. لا يلبسونه غالباً إلا في الأزمات أو المناسبات، وبعد أن تمر الأزمة أو المناسبة، يعيدونه إلى جيوبهم أو يتركونه في المنزل وينسونَه."

ساد بينهما جو من الود، وكأنهما صديقان قديمان.

سأله صاحبنا: "هل تصلى الفجر دائماً هنا؟"

رد الشاب: "نعم، غالباً."

ثم افترقا، كل منهما يحمل في قلبه شيئاً من الآخر.

يوماً بعد يوم، منذ أن ارتدى الخاتم، كان يشعر بتحوُّلٍ عميقٍ في كيانه. كان يقسم بكل خلية في جسده أن الفرق بينه الآن وبينه قبل أن يرتدي الخاتم هو كالفرق بين ميتٍ ثم بعثه اللّٰه للحياة من جديد. لكنها حياةٌ جديدةٌ مشرقة، مليئة بالحب والرحمة والأمان والكرم.

اللّٰه تعالى يقول:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

*****

نُورٌ

أين هم هؤلاء الحُكّام الظلمة المتجبرون الذين كانوا يملؤون الأرض قهراً؟

لقد اختفوا تماماً من حياته،

واختفى معهم ذلك الشعور العميق بالظلم والقهر الذي كان يقعد به يائساً عاجزاً عن الفعل.

كان يرى هؤلاء الحكام دائماً في الظلام، ظلام دامس يخفي الحقيقة.

فلم يكن يرى إلا صورة مشوَّشة للحاكم ومنظومته، دون أن يدرك ما وراءها.

لكن الخاتم أنار المشهد بنورٍ كشمسٍ ساطعة.

وفي النور، اكتشف أن هناك يداً حكيمةً ورحيمةً تتحكم فيهم وتحركهم.

الله تعالى يقول:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

في الظلام،

يبدون كأشباحٍ عملاقةٍ مرعبةٍ قادرة على تدميرك في لحظة.

أما في النور،

فتراهم أنهم مجرد أقزامٍ من صلصال، لا حول لهم ولا قوة، تتحرك بإرادة الله الرحمن الرحيم. الله تعالى يقول:

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

سبحان الله!

لقد تم تصميم الدنيا بطريقة إعجازية ومدهشة،

إذا انطفأ نور الله عنك، ترى هؤلاء الحكام وأصحاب السلطة أشباحاً مخيفة ووحوشاً ضارية.

أما إذا أشرق النور، تراهم مجرد أقزاماً مغرورة مضحكة. عجيبٌ هذا الخاتم!

وعجيبٌ نور الله الذي يخرج منه!

وعجيبٌ أيضاً تصميم هذه الدنيا الفريد، الذي يدفعك دفعاً للبحث عن نورٍ ترى به الحقيقة، وإلا أهلكك الخوف من أشباحها المرعبة في الظلام. الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

إن كنت ترتدي الخاتم،

فلن يعنيك أمر أى حاكم ظالم، بل لن تراه من الأساس.

- سترى الله الحكيم يعذب بهؤلاء الحكام أقواماً. الله تعالى يقول:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

- ويربي ويؤدب آخرين. الله تعالى يقول: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

- ويرفع درجات آخرين ويبشرهم. الله تعالى يقول:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

لم يذهب جهاد صاحبنا لتلاوة القرآن هباءً، بل كانت النتيجة عاجلةً ومذهلة.

لقد حدث تغييرٌ دراميٌ في حياته يفوق أي خيال. الله تعالى يقول:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢]

النور الذي جعله الله له، حوَّله من إنسانٍ ميتٍ إلى إنسانٍ حي.

كم ياترى الفرق بين إنسان ميتٍ وآخر حي؟

الله تعالى يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

*****

حُبّ

كانت تكره زوجها، وتدعو عليه تقريباً في كل صلاة.. حتى جاء اليوم الذي لبست فيه خاتم سليمان. ذلك الخاتم الذي غير كل شيء. فتغير قلبها وأحبت زوجها من جديد. لم تمضِ فترة طويلة حتى تبدل حالها وحاله، فكيف حدث هذا التحول العجيب؟

في الماضي، كانت تراه إنسانًا جافًا وأنانيًا، لا يراها ولا يشعر بها. لكن مع نور الخاتم، بدأت الظلمة تتلاشى، فرأت أن كل كلمة حب قالها زوجها لها كانت في الحقيقة رحمة من اللّه. كل لمسة حانية منه كانت نعمة من اللّه يغمرها اللّه بها. في النور، اختفى زوجها من المشهد، ولم ترَ إلا اللّه الرحمن الرحيم، الذي كان يرحمها ويحنو عليها من خلال هذا الزوج.

إكتشفت أن زوجها لم يكن سوى أداة في يد اللّه، تُخفي وراءها رحمة اللّه ولطفه بها. ومع تبدد الظلمة يومًا بعد يوم، فجأة، لم يعد أنانيًا. ولكن ليس لأنه تغير، بل لأنها توقفت عن انتظار

العطاء منه. رأته في النور عاجزًا حتى عن نفع نفسه، فكيف سينفعها؟ وأيضًا لم يعد جافًا في معاملته، وأيضاً ليس لأنه تغير، بل لأنها أدركت أن الله هو الذي يعاملها، وليس زوجها. الله هو الذي يرزقها الكلمة الطيبة أو يحرمها إياها.

اختفاء زوجها من المشهد كشيء قادر على نفعها أو إلحاق الضرر بها جعل قسوته تختفي، وجفافه يتبخر معها. وهنا تجلى سحر الخاتم. لم تعد تبتسم في وجه زوجها لتنال رضاه، بل لتنال رضا الله عنها. تحولت من امرأة تسعى لإرضاء زوجها إلى امرأة تعبد الله بكل أفعالها. تصبر على زوجها ابتغاء رضا الله، تبتسم في وجهه طاعة لله، وتدعو له طلبًا لحب الله تعالى.

في النور، رأت أن زوجها لا يملك لها شيئًا، فاتجهت إلى من يملك السماوات والأرض. الله تعالى يقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

هي الآن تعمل صالحًا، تعامل زوجها بما يُرضي الله، لا لتُرضي زوجها أو لتتقى شره. فتحققت لها الحياة الطيبة، وجعل الله في قلبها حبًا صافيًا له، وصرف عنها أذاه. حبٌ صافٍ لا يشوبه احتياج أو تعلق أو خوف. فتعلقها بالله، واعتمادها على الله، وخوفها من الله. وزوجها؟ لم يكن سوى رزق من الله، أداة في يد الرحمن.

خاتم سليمان فرق لها بين الحق والباطل. الله تعالى يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ويقول أيضًا: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩].

*****

ثَوْر

عمره الآن فوق الخمسين، قضى حياته كلها يركض بأقصى طاقته، ثم ارتدى الخاتم. يومًا بعد يوم، بدأت الغشاوة التي كانت تغطي عينيه تزول. وكلما زالت قليلاً، خفت سرعته في الجري، حتى توقف تمامًا عندما زالت الغشاوة بالكامل. لأول مرة منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وقف ليستريح ويأخذ نفسًا عميقًا. اكتشف حقيقة صادمة ومؤلمة: لثلاثين عامًا كان يركض في حلقة مفرغة، دون أن يتقدم ولو خطوة واحدة للأمام.

إكتشف أنه كان كثور مربوط في ساقية ماء، يركض طوال عمره وهو يظن أنه يطارد النجاح، ليكتشف في النهاية أنه كان يطارد ذيله فقط. فك القيد عن نفسه، ولأول مرة منذ زمن بعيد، استراح وأخذ نفسًا عميقًا. بدأ الخاتم ينير له الدنيا، وتكشفت له الحقائق شيئًا فشيئًا.

كان شعوره بالفشل الدائم هو السوط الذي يلهب ظهره، يدفعه للركض أسرع وأسرع بلا رحمة أو شفقة على نفسه أو على من حوله. ولكن الخاتم شفى صدره تمامًا من هذا المرض. بعد أن أدرك الحقيقة وآمن بها حقًا وليس ادعاءً. الله تعالى يقول:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

الحقيقة التي اكتشفها هي :

أن كل من نجح في تحقيق شيء (مثال لشيء خير)، فهذا النجاح لم يكن إلا فتنة من الله.

وأن كل من فشل في تحقيق شيء (مثال لشيء شر)، فهذا الفشل لم يكن إلا فتنة من الله.

النجاح الذي حققه أقرانه لم يكن إلا فتنة لهم وله.

فتنة لمن نجح: إلى من سينسب فضل نجاحه؟

1. هل سيوحد الله، فينسب الفضل كله لله، ابتداءً من الظروف التي أحاطته لتدفعه للنجاح، مرورًا بما طرأ على رأسه من أفكار وإلهامات، وسرى في نفسه من طاقة وحماس، ثم ما مر به من مواقف وأحداث وأشخاص، انتهاءً بتوفيقه في كل هذا ليحقق ما حققه من نجاح؟ الله تعالى يقول:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧].

2. أم سيشرك بنفسه مع الله، فيقول: "النجاح ده من تعبي أنا ومن توفيق ربنا"؟ الله تعالى يقول:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

ويقول أيضًا: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[الأعراف: ١٨٨].

وقد بين الله أنه لا حول لمخلوق ولا قوة لمخلوق، هو فقط الله الذي يمده بكلاهما. وأن أي رزق هو من الله، وكل ما في حياتنا هي أرزاق الله. الله تعالى يقول:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

ويقول أيضًا: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

3. أم سيكفر تماماً، ويقول: "إنما أوتيته على علم عندي"؟ الله تعالى يقول:

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 49].

إن نجاح من حوله فتنة لهم وله هو نفسه أيضاً، ليجيب على نفس الأسئلة. الله تعالى يقول:

{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: 131].

وقد اكتشف أنه أجاب إجابة خاطئة.

فقد قال بلسانه:

"أنا مؤمن إن وما توفيقي إلا بالله".

ولكن قال بلسان حاله أو بأفعاله:

"أنا لم أنجح لأنني فاشل، وأنا لازم أنجح".

وظل يشهد على نفسه سنين وسنين بشركه لنفسه مع الله شركاً خفياً لا يشعر به ولا يراه للأسف.

إن لومه لنفسه على فشله ما هو إلا إجابة خاطئة، تماماً مثل فخر وتكبر الناجح بنجاحه. فكلاهما حدث بقضاء الله وقدره. الله تعالى يقول:

{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء: 78].

الفرقان الذي جاء مع الخاتم

لبسه للخاتم جعل له فرقانًا يرى به الفرق بين الحق من الباطل.

أصبح يفرق بين السؤال الذي يمتحنه به الله ،وبين إجابته التي هو مخير فيها غير مسير.

فنجاحه في الدنيا في شيء ما هو إلا سؤال من عند الله.

أما فعل ما يحبه الله ويرضاه مع هذا النجاح هو اختياره وإجابته، والتي هي أيضًا بتوفيق الله.

بدون الخاتم، لم يكن ليدرك أبدًا كونه ضالًا مخدوعًا.

بل كان لينفجر غضبًا في وجه من يوجه له وصفًا كهذا. الله تعالى يقول:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

ويقول أيضًا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-٩].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

"يخرج في آخر الزمان قومٌ يُحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية." رواه مسلم.

ويقول أيضاً: *"إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة."* متفق عليه.

كل ما سبق يشير إلى شخص يظن نفسه مؤمناً ،وهو في الحقيقة بعيد عن الإيمان.

ولماذا حدث له هذا؟

لماذا هو مخدوع؟

لماذا حكم الله عليه بالضلال؟

لقد حكم هو على نفسه بالضلال حين اشترى التفاهات وأعرض عن كلام الله. الله تعالى يقول:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [لقمان: 6].

ويقول أيضاً: {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: 125-126].

ضل حين نسى كتاب الله وانشغل بغيره، فقيد الله له شيطان ليكون له قرين. الله تعالى يقول:

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف ٣٦]

ضل حين اتبع هواه فأتبعه الشيطان. الله تعالى يقول:

﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30].

ضل حين كان همه الدنيا وانشغل بها وغفل عن آيات الله.
الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 6-8].

أنزل الله له شفاء لما في قلبه من أمراض، فأهمل الشفاء فزاده الله مرضاً. الله تعالى يقول:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

ويقول أيضًا: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

لم يظلمه الله ولكن ظلم هو نفسه. الله تعالى يقول:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: 33].

النهاية المطمئنة

يوماً بعد يوم، أخذت آثار هذا المرض - الشك في حقيقة أن الأمر كله لله - تختفي من نفسه. وأصبح واثقًا أن الأمر كله لله. الله تعالى يقول:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا

مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

بات مستسلماً لمشيئة الله في أنه سيخوض:

- تجارب يكتب الله له فيها أن يسعى فقط دون أن يحقق نتيجة.
- وتجارب أخرى سيسعى ويحقق نجاحًا.
- وتجارب أخرى سيجد النتيجة بلا سعي أو حتى محاولة.

وكل هذا ما هو إلا أن الله يُمحص ما في قلبه ويربيه ويختبره. أصبح همه وهدفه الآن أن يرضى الله عنه. يفتش في كل ساعة يعيشها عما يُرضي الله عنه الآن في هذه الساعة.

ويومًا بعد يوم،

أصبح يعيش في سكينة ورحمة من اللّٰه، لا يرى فاعلاً في الكون إلا اللّٰه مفوضًا أمره إلى اللّٰه. واختفت من حياته حربه مع الحياة، واختفى معها آلامها وأحزانها.

لم يعد يرى نفسه أقل من أحد، ولا يرى أحدًا أكبر منه. وعرف المعنى الحقيقي للفلاح في الدنيا، وهو كما يقول المؤذن: "حي على الصلاة، حي على الفلاح". صلته بالله هي فلاحه.

لقد تم استبدال نفسه الهلعة الجزوعة بنفس مطمئنة، جاهزة للقاء ربها. اللّٰه تعالى يقول:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

*****

فِكْرَة

هل يمكن لفكرة أن تتحول إلى معتقد راسخ في العقل البشري؟

هل يمكن لقناعة ما أن تُزرع في الدماغ، فتصبح جزءًا لا يتجزأ من واقع الشخص، يتحرك وفقًا لها دون أدنى شك؟

تخيل معي وجود جهاز غامض، قادر على فعل ذلك بكل سهولة: جهاز يزرع الأفكار والمعتقدات في العقل، فيجعل المستحيل ممكنًا، واللامعقول حقيقة مطلقة.

في مكان ما، عاش شخصٌ يبدو عاديًا للوهلة الأولى. لكن حياته لم تكن كذلك؛ فقد تم زراعة معتقد غريب في عقله: أنه يستطيع الطيران. نعم، الطيران! كل ما عليه فعله هو الصعود إلى سطح عمارة شاهقة، والقفز. عندها، سينطلق في السماء، محلقًا بعيدًا عن الأرض، وكأن الجاذبية مجرد وهم.

بالنسبة له، كان هذا أمرًا طبيعيًا، بل وحتى مملًا أحيانًا. لكن بالنسبة للعالم الخارجي، كان هذا جنونًا.

ما التصرف الطبيعي الذي سيقوم به هذا الشخص في لحظة ما؟ بالطبع، سيصعد إلى سطح عمارة عالية، ويقفز بكل ثقة، منتظرًا أن يحمله الهواء إلى عنان السماء. ولكن هل سيحمله الهواء؟ بالطبع لا. وبالطبع، سيسقط ليلاقي مصيره المحتوم. لاحظ أنه لم يأمره أحد بأن ينتحر. ولاحظ أيضًا أنه لم يكن ينوي الانتحار من الأساس. هو كان يمارس حياته الطبيعية، معتقدًا أنه سيستمتع برحلة في السماء، مستخدمًا قدرته على الطيران. بالنسبة له، كان تصرفه طبيعيًا جدًا. أما في الحقيقة، فقد كان تصرفًا مجنونًا.

فكرة واحدة تكفي لتدمير حياة

وهذا ما حدث عندما تسمم عقله بفكرة مسمومة. لقد قتل نفسه بنفسه، دون أن يأمره أحد بأي شيء. بمنتهى الجدية، فكر، ثم اتخذ قرارًا، ثم نفَّذ. المؤسف أن جديته هذه لم تكن

سوى جنون. والسبب؟ معتقد خاطئ تم زراعته في عقله، حوَّل المستحيل إلى حقيقة في عالمه الداخلي، بينما كان الموت هو الحقيقة الوحيدة في العالم الخارجي. فكرة واحدة مسمومة كانت كافية لتودي بحياة رجل. تخيل معي: ماذا لو تمت برمجة هذا الشخص بآلاف الأفكار والمفاهيم المسمومة عن الحياة؟ إلى أي مدى ستتشوه رؤيته للعالم؟ وإلى أي مدى ستتحول أهدافه إلى غايات تافهة أو مدمرة؟

إذا كانت فكرة واحدة قادرة على دفع شخص إلى تدمير نفسه بكل ثقة وإيمان بقدراته، فما بالك بآلاف الأفكار التي تُزرع في عقله يوميًا؟ ستتحول حياته إلى سلسلة من القرارات الخاطئة، والأهداف الغبية، والخسائر الفادحة. سيصبح مثل سفينة بلا بوصلة، تائهة في محيط من الأوهام، تدفعها رياح المعتقدات الفاسدة نحو الهلاك. حتماً، سيسعى هذا الشخص بكل إصرار وإيمان زائف بقدراته إلى تدمير نفسه، دون أن يدرك أنه ضحية لأفكار مسمومة زرعت في عقله. ستكون خسارته في الحياة فادحة، ليس لأنه لم يحاول، بل لأنه حاول في الاتجاه الخاطئ، مدفوعًا بمعتقدات لم تكن سوى أوهام قاتلة.

تزيين الشيطان للأفكار

من أبرز أمثلة زراعة الأفكار المسمومة في العقل هو تزيين الشيطان للإنسان لفعل شيء ما، فيجعله يرى الشر وكأنه خير، والضلال وكأنه هدى. ومثال على التزيين: أن يقتل الأب ابنه وابنته بيديه. الله تعالى يقول:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

تفسير السعدي:

ومن سفه المشركين وضلالهم، أنه زيَّن لكثير من المشركين شركاؤهم -أي: رؤساؤهم وشياطينهم- قتل أولادهم، وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم الذكور خشية الافتقار، والإناث خشية العار. وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يُرْدُوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة.

كيف يزرع الشيطان الأفكار في عقولنا؟

يستخدم الشيطان - عدو الإنسان الأول - أسلوبًا خبيثًا لغرس الأفكار الزائفة، كما صوّر لنا القرآن الكريم في قصة آدم عليه السلام. يقول تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحجر: ٣٩]

الآلية الشيطانية لغرس الأفكار هى الوَسْوَسَة والتكرار:

1. مرحلة البذر الخفي:

يبدأ بحقن الفكرة الزائفة في العقل بشكل متقطع، مختاراً أفكاراً لا تمت للواقع بصلة لكنها جذابة ظاهرياً، وهو يعلم علم اليقين أن هذه البذرة ستثمر معصيةً لا محالة.

2. خصائص الأفكار الشيطانية:

- منفصلة عن الحقائق (وهمية)
- جذابة سطحياً (مغلفة بطلاء براق)
- ذات عواقب مدمرة (تقود لمعصية الرب)

- متكررة التكرار (تأتي على شكل وساوس متلاحقة)

3. الحكمة من التكرار:

يستخدم الشيطان تكرار الفكرة كأداة لـ:

- كسر حاجز الرفض الأولي
- خلق شعور بالألفة مع الفكرة
- تحويل الغريب إلى مألوف
- ثم المألوف إلى مقبول
- وأخيراً المقبول إلى مرغوب

4. النتيجة الحتمية:

كما قال تعالى: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) [البقرة:169]،

حيث تتحول الفكرة المزروعة إلى:

- قناعة راسخة
- ثم سلوك ممارس
- ثم عادة متأصلة

- وأخيراً معصية مقترفة"

هلاك الأمم بسبب الأفكار المسمومة

كيف هلكت الأمم من قبل؟

الإجابة: زين لهم الشيطان أعمالهم.

الله تعالى يقول:

﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل: ٦٣].

لا يحتاج الشيطان سوى إلى فكرة واحدة، فيزينها ويجعلها تبدو جذابة، ثم يكررها بلا توقف حتى تترسخ في العقل، فتصبح وكأنها حقيقة لا تقبل الجدل.

الله تعالى يقول:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

شياطين الإنس والجن

اليوم نواجه تحالفًا خفيًا خطيرًا - شياطين الإنس والجن - يعملون كفريق واحد لهدم قيمنا وإفساد عقولنا. الله تعالى يحذرنا من هذا الخطر في قوله:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾

[فصلت: ٢٩].

كيف يحدث هذا؟

لقد أصبحت فتنة الدنيا في عصرنا أخطر بكثير:

1. ثورة الشاشات الذكية :التي حوّلت كل بيت إلى ساحة حرب أفكار

2. التكنولوجيا الذكية :صممت خصيصًا لإدماننا وإلهائنا (مثل خاصية التمرير اللانهائي)

3. الثقافة الشعبية :أفلام كرتونية تزرع أفكارًا مشوهة منذ الطفولة

4. التعليم الموجه :مناهج دراسية تُعد بعناية لصياغة عقليات معينة

5. حروب الأفكار :إعلانات ومسلسلات وأغاني تحمل رسائل خفية

المشكلة الأكبر؟

أنك قد لا تدرك أن 70-80% من أفكارك ليست اختيارك الشخصي! بل هي نتاج برمجة متعمدة عبر:

- البرمجة المبكرة :منذ الطفولة عبر الرسوم المتحركة
- التلقين المستمر :خلال سنوات الدراسة الطويلة
- القنوات الإعلامية :التي تختار لك ما تراه وتسمعه
- حتى علاقاتك الاجتماعية :التي تتشكل ضمن أطر معدة مسبقًا

الحل؟

في مواجهة هذا الطوفان الجارف من الأفكار المسمومة، يبقى سلاحنا الأقوى والأمثل: القرآن الكريم. ليس مجرد كتاب عادي، بل هو **برنامج إلهي لإعادة ضبط العقل والقلب**، علاج شامل لكل السموم الفكرية التي تسللت إلى أعماقنا.

كيف يعمل القرآن على تطهير عقلك؟

١ .كمطهر قوي :يزيل كل الأفكار الزائفة التي علقت بذهنك عبر السنين

٢ .كمنظف عميق :لا يقتصر على إزالة السموم، بل يصل إلى جذورها ويقتلعها

٣ .كبرنامج إصلاحي :يعيد بناء شخصيتك وسلوكك من جديد

٤ .كمرآة صادقة :يكشف لك حقيقة ما كنت تعتقده "صحيحاً" لكنه كان زيفاً

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الزخرف: ٣].

هذه الآية تخبرنا أن الله **صمم القرآن خصيصاً** ليكون أداة التعقل والفهم الصحيح.

القرآن ليس مجرد كلام يُتلى، بل هو:

- مضاد حيوي للأفكار الهدامة
- خريطة طريق للعقل السليم
- مُعيد تشكيل للشخصية
- مصحح مسار للحياة كلها

لكن بشرط واحد: أن **تتعامل معه كبرنامج علاجي يومي**، ليس مجرد تلاوة عابرة. جرب أن تقرأ آية واحدة بتدبر كل يوم، وسوف ترى بنفسك كيف يبدأ التغيير"!

أهمية العقل السليم

1. لن تذوق حلاوة الإيمان بآيات الله الكونية إلا بقلبٍ واعٍ وعقلٍ مُتنبّه. فالعقل السليم هو مفتاح الفهم والتدبر.
   الله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ١٦٤].

2. إذا كان العقل مريضًا، لن يستطيع التمييز بين ما هو خطر وقاتل وبين ما هو تافه أو مجرد لهو.

الله تعالى يقول:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]

3. إذا فُقِدَ التمييزُ والعقل، فقد تدفعُ كنوزًا ثمينةً مقابلَ أشياءَ تافهة. الله تعالى يقول:

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]

4. العقلُ المريضُ لا يَسمَعُ الموعظةَ ولا يُدرِكُ قيمتَها، بل يَتَمَسَّكُ بالجاهِلِ مِنَ العاداتِ والأفكارِ البالية.
الله تعالى يقول:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
[البقرة: ١٧٠]

5. العقلُ المريضُ آفةٌ تُهدِّدُ صاحبَها والمجتمعَ من حوله، ويجبُ تطهيرُ النفوسِ من شروره.
الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾

[الأنفال: ٢٢]

6. من تقاعس عن إصلاح عقله واستمر في غفلته، فقد عرض نفسه لسخط الله وضلاله.

الله تعالى يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]

7. صاحب العقل السقيم كالأعمى، لا يُبصر الحق ولا يهتدي إلى الخير، فلا ينفع نفسه ولا غيره. الله تعالى يقول:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]

8. الإنسان بلا عقل سويٍّ يفقد أسمى ما ميّزه الله به، فيصبح أضلّ من الأنعام في سيره.

الله تعالى يقول:

﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]

9. العقل السقيم يُغمض عينيه عن حقيقة الشيطان وعداوته، رغم علمه بشروره ومكائده، فكأنما يُسلم نفسه للهلاك باختياره!

الله تعالى يقول:

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾

[يس: 62]

10. العقل السليم هو الجندي الذي يحرسنا من الوقوع في النار، فاحرص على تقويته وتنقيته.

الله تعالى يقول: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]

القرآن شفاء للعقول

السبيل الوحيد ليشفى عقلك من أطنان السموم التي به الآن هو القرآن الكريم. القرآن لن يكتفي بإزالة السموم، بل سيعيد بناءك من جديد. سيغرس فيك الحقيقة، ويزرع في عقلك وقلبك ما يُنقذك في حياتك الدنيا والآخرة. هو المنقذ الوحيد من هذا الطوفان الذي يغرقنا جميعًا. الله تعالى يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

ولكننا، للأسف، هجرنا القرآن.

لقد زين لنا الشيطان أن نبتعد عنه، فأطعناه دون أن ندري.

لا تتعجب من هذا، فالشيطان قد نجح من قبل في أن يزيّن لأبٍ أن يقتل فلذة كبده بيده، بأن يدفنه حيًا! نعم، لقد فعلها الشيطان، فكيف لا ينجح في إبعادنا عن كتاب الله؟ الله تعالى يقول:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

مقارنة بسيطة بالواقع الذى نعيشه الآن مع مايريده الله سنرى كم نحن بعيدين. لقد تركنا القرآن على الرف، بعيدًا عن حياتنا، رغم أنه النور الذي يهدينا، والشفاء الذي ينقذنا من ظلمات الأفكار المسمومة. لقد زين لنا الشيطان أننا لسنا في حاجة إليه، فصدقناه. لكن الحقيقة أننا بحاجة إلى القرآن أكثر من أي وقت مضى، خاصة في زمن طغت فيه الشهوات، وانتشرت فيه الأفكار الضالة. وباتت الدنيا أكثر همنا ومبلغ علمنا. الله تعالى يقول:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦].

صاحب العقل المريض لن يدرك أبداً كم هو بعيد عن الحق إلا بعد ان يلبس الخاتم. أما قبل الخاتم فعقله المريض هو الذى يحكم به على عقله المريض فتكون النتيجة أبعد ما يكون عن الحقيقة.

هل القرآن رفيقك الحقيقي؟

إن لم تكن الإجابة (نعم) فأنت في أمسّ الحاجة إلى:

1. **مصاحبة القرآن** كلبس خاتم سليمان إن ورثته.
2. **الصبر على تلاوته** حتى يفتح الله عليك
3. **إدراك قيمته** بأنه أغلى من كل الوجود

فكل المخلوقات مَصنوعة، أما القرآن فهو:

- صفة من صفات الله
- كلامه المُنَزّل
- النور الذي لا يُضاهى

كيف تعرف أنك على الطريق؟

لا تقيّم الأمور بقناعاتك الحالية، بل:

- قارن نفسك بحال النبي ﷺ مباشرة
- انظر إلى حياة الصحابة الكرام

إن وجدت انحرافاً:

فهذه إشارة أن قلبك يحتاج إلى:

- تطهير
- تجديد

- إصلاح

لتكون ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]

فالقلب السليم هو الذي:

- يعرف الحق حقاً
- ويتبعه بعزمٍ ويقين

في النهاية

أنت وحدك من يملك قرار المصير:

- إما يقظة تُنجيك.
- أو غفوة تُهلكك.

فاحذر - أيها العاقل - أن تكون يوم القيامة ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ [طه: 126]

فهذه الآية ليست مجرد وعيد، بل:

- صورة واقعية لحال الغافلين.
- إنذار أخير قبل فوات الأوان.
- نتيجة حتمية لإهمال آيات الله

الاختيار بين:

- ذكرى تنجي.
- أو نسيان يُهلك.

وهو - للأسف - قرار لا يُتراجع عنه!

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾

*****

ساهم في انتشار الفائدة: قيّم الكتاب

عزيزي القارئ الكريم،

شكراً جزيلاً لوقتك الذي قضيته في قراءة هذا الكتاب. إذا وجدت فيه قيمة أو فائدة لك، فإن تقييمك الصادق يساعد في وصول هذه الفائدة إلى عدد أكبر من القراء الباحثين عن المعنى والهداية. بمشاركتك رأيك على منصة ***مكتبة نور***، تكون جزءاً من نشر الخير وإثراء المحتوى القيّم.

يمكنك ترك تقييمك هنا :

noor-book.com/clxth9u

جزاك اللّٰه خيراً على مساهمتك ودعمك